

توبة

الإمام علي بن الحسين
عليه السلام

المنطلقات والنتائج

إعداد
يحيى قاسم أبو عواضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

مُحْفَوُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

إخراج
دائرة الشفافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين،
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين، اللهم صلّ على محمد
وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضائك عن أصحابه
الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين. وبعد:

يحمل لنا شهر محرم الحرام ذكرى أليمة وفاجعة كبيرة لازالت آثارها
وتناجها في أمتنا من يوم وقوعها وإلى هذا الزمن، هي ذكرى حادثة كربلاء،
ذكرى عاشوراء، ذكرى استشهاد سبط رسول الله الإمام الحسين (عليه السلام).
وهذه الذكرى - التي هي في العاشر من المحرم - ليست هي فقط ما
يربطنا بالإمام الحسين ويذكرنا به، الإمام الحسين هو علم من أعلام الهدى،
ومنار للحق، وهولنا القدوة والقائد والأسوة، وهو إمام المسلمين، وسبط
رسول الله، وهو الامتداد للرسالة الإلهية وللنهج المحمدي الأصيل.

وقد حرصت في هذا الكتاب على تقديم ما أمكن من تفاصيل ثورة الإمام
الحسين (عليه السلام) والاستفادة من هذه الذكرى الأليمة بما يفيدنا في واقعنا
ونحن نعيش كل يوم عاشوراء وكما نعمل دائماً: اعتمادنا في إعداد هذه المادة
بشكل كامل على خطابات ومحاضرات الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين
الحوثي والسيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي «رضوان الله عليهما»
وفيما يتعلق بالنص التاريخي فقد اعتمدنا على عدد من المراجع التاريخية.

نسأل الله أن نكون قد وفقنا لتقديم ما يفيدنا في معركتنا ضد أعداء الله
وأعداء البشرية من اليهود والنصارى وقوى النفاق والعمالة.

والله ولي الهداية والتوفيق

يحيى قاسم أبو عوَّاضة

من هو الإمام الحسين؟

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهما السلام» أحد السبطين، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، وأحد ریحانتي المصطفى «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وأحد الخمسة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وسيد الشهداء، وابن سيدة النساء فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله محمد «صلى الله عليه وعلى آله وسلم».

ولد (سلام الله عليه) في شهر شعبان لخمس خلون منه في السنة الرابعة من الهجرة، ولما ولد جاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» فاستبشر به وسماه الرسول «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» حسيناً.

عاش «عليه السلام» طفولته مع جده رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وتربى في أحضانه وحظي باهتمامه؛ فورث (سلام الله عليه) من جده إيماناً وطهراً وصلاًحاً وزكاءً ونوراً وهدى وحرصاً على هداية أمة جده، حرصاً على صلاحها، حرصاً على عزتها.

ومن آدابه وآداب أخيه الحسن «عليهما السلام» في ذلك: أنهما رأيا أعرابياً يخفف الوضوء والصلاة فلم يشاء أن يجباه بغلظه وقال له: «نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا، فنتوضأ ونصلي عندك، فإن كان عندنا قصور تعلمنا» فلما رآهما الشيخ تنبه إلى غلظه دون أن يأنف من تنبيههما إليه.

ومر يوماً بمساكين يأكلون فدعوه إلى الطعام على عادة العرب، فنزل وأكل معهم ثم قال لهم: قد أحببتكم فأجيبوني، ودعاهم إلى الغداء في بيته.

أخبر جبريل «عليه السلام» رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» بما

سيصيب الحسين بعده وأن أمته ستقتله بعده في كربلاء فكان يبكي بكاء شديداً، ويلثم ثغر الحسين «عليه السلام» ويقبله ويقول: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

وروى أبو العباس الحسن بن يرفعه إلى ابن عباس قال: اشتد برسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» مرضه الذي مات منه فحضرته وقد ضم الحسين «عليه السلام» إلى صدره يسيل من عرفه عليه وهو يجود بنفسه وهو يقول: «مالي وليزيد لا بارك الله في يزيد اللهم العن يزيداً. ثم غشي طويلاً وأفاق. فجعل يقبل الحسين «عليه السلام» وعيناه تذرفان ويقول: «أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله».^(١)

وبعد أن فارق رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» الدنيا عاش محنة أبيه وأمه «سلام الله عليهما» بعد إقصائهما وعزلتهما وظلمهما ووفاة أمه المبكر والجرح لَمَّا يندمل بفراق جده رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وبعد ما يقرب من خمس وعشرين سنة من فراقه لجده المصطفى «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وما حصل من انحراف بعده أوصل غلمان بني أمية (الشجرة الملعونة في القرآن) إلى التحكم على رقاب الأمة وظلمهم؛ تسارع الأمة إلى أبيه لينقذها مما قد وصلت إليه من الضياع والتهيه والظلم والجبروت، ولكن بعد أن تغيرت النفوس، وقُدمت البدائل المغلوطة ولم يعد من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه.

فعاش صراع أبيه مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فكان أحد القادة الأبطال في جيش أبيه أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، تخرج من مدرسته، وتعلم منه البطولة والشجاعة وفنون القتال، وتعلم من أبيه معالي الأخلاق

(١) المصاحب في السيرة لأبي العباس الحسني، التاريخ الإسلامي، الحقائق الوردية.

وكريم الصفات، ونهل من ذلك المعين الصافي العلم والمعرفة، وعُرف بالفصاحة والوفاء والكرم والشجاعة من صباه.

وبعد استشهاد أبيه سلام الله عليه عاش معاناة أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وما لاقاه من المتخاذلين وما واجهته من محن انتهت باستشهاده أيضًا.

وعاش تحكّم بني أمية وسيطرة الموروث الجاهلي بشكل كامل على الأمة وما عانتها الأمة التي خذلت أباه عليًا وأخاه الحسن الذين استشهدا على يد بني أمية.

إلا أن وصية أبيه أمير المؤمنين له ولأخيه - قبيل استشهاده - كانت دائمًا نصب عينيه عندما أوصاهما بقوله: «أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُويَ عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَأَعْمَلَا لِلْآجِرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا.» فكان سلام الله عليه يرقب الوضع ويعمل ما بوسعه لرفع معاناة هذه الأمة، وفي إصلاح الفساد المستشري في هذه الأمة، وما وصلت إليه الأمة من الهوان والذل على يد بني أمية، وتلافي ما يمكن تلافيه.



خلاصة الوضعية التي كانت قد وصلت الأمة إليها

لا شك بأن التفريط الذي حصل من بعد موت النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وإقصاء الإمام علي «عليه السلام» والصالحين في هذه الأمة وبدلاً عنهم تم تمكين بني أمية من السيطرة على هذه الأمة أعاد الأمة إلى وضعية أسوأ مما عاشته في جاهليتها الأولى فكانت النتيجة حدوث انقلاب على الإسلام المحمدي الأصيل وإبراز نسخة للإسلام مزيفة تخدم طواغيت بني أمية وتمكنهم من رقاب الأمة وثرواتها، فكيف كانت الوضعية التي قد وصلت إليها الأمة؟

١. غابت القيم والأخلاق من واقع الأمة.

للأسف الشديد غابت القيم والأخلاق من واقع الأمة، غابت نتيجة ذلك الاستهداف لها في واقع الأمة من الحكم الأموي، من الظالمين بني أمية، غابت من واقع الأمة، وكان البديل عنها هو كارثة، أمر فظيع جداً، البديل عنها هو: تربية الباطل، الغدر، الظلم، الفساد، الأطماع، الكذب، نقض العهود والمواثيق، إلى غيرها.. قائمة طويلة مفردات كثيرة يمكن أن يحشدها الإنسان ويتحدث بها ليعبر عن واقع الأمة فيما وصل إليه في الأعم الأغلب، وقد تجلّى كثيراً من ذلك كله في الأحداث التي عصفت بالأمة في عهدهم.

مع هذا ساء واقع الأمة وتكررت للغة الحق والمسؤولية والدين، وأصبحت لغة الحق وكلمة الحق لا مسموعة ولا مفهومة ولا مقبولة، ينادى بالحق في أوساط الأمة تُدعى إليه فلا تجيب، ولا تستجيب، ولا تقبل، ولا تسمع، ولا تصغي، ولا تعي بالرغم من التحرك الفاعل لأهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» بدءاً بالإمام علي «عليه السلام» ومن بعده الإمام الحسن ثم

الحسين «عليهما السلام» الذين كانوا ينادون في أوساطها ويدعونها، يعملون ويحرصون على أن يدفعوها في إطار مسؤوليتها التي هي شرفها وعزها فلا تستجيب. لغة الحق غير مقبولة، ولم يعد هذا معياراً لا لموقف، ولا لتوجه، ولا لعمل، ولا لمسار، ولا لنهج، ولا لمبدأ، لم يعد من المهم عند كثير من أبناء الأمة في موقفه أن يكون موقف حق أو لا. من الطبيعي كان حقاً أم غير حق، ما كان فليكن.

وها هو الإمام الحسين يشخص الواقع الذي كانت قد وصلت إليه الأمة، وهو يرى الواقع المظلم للأمة وقد ضيّعت الحق ولم تعد تأبه للحق ولا تبالي بالحق، فقال: «فإن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جداً فلم يبق إلا صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل»، ما أعظم هذا التعبير، يا كم ساء واقع الأمة، ويا كم تغير إلى المستوى السيء جداً، انعكست آثاره السيئة في واقع الحياة ظلاماً، معاناة، شقاء، اضطهاداً، قهراً، ساء واقع الأمة وأياما سوء حينما غاب الحق بقيمه وموقفه ومبادئه من واقع الحياة، «ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً^(١)».

ثم نجد تربية الباطل التي غيّبت الحق فلم يعد مقبولاً ولا مسموعاً، ولا مفهومًا، ولا مرغوباً، ولا مستساغاً في واقع الأمة التي كان يفترض بها أن تكون هي أمة الحق ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣] ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

(١) البرم: بالتحريك الضجر والملالة والسامة.

أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴿يونس: ٣٥﴾ كل هذه المسألة انتهت من واقع الأمة إلى حد كبير، بقي صفوة الأمة قلة قليلة، ثم ما كان هو البديل عنه؟ وماذا كانت المعايير والأسس التي يُنطلق من خلالها وتُبنى عليها المواقف؟.

يعني: الكثير من أبناء الأمة الإسلامية، الكثير من المسلمين لم يعد يقيس موقفه على أساس من الحق، يعني: هل أنا على حق في موقفي أم لا؟ هل أنا على حق في اتجاهي أم لا؟ هل أنا على حق في عدائي أو ولاءي أم لا؟. هذه مسألة لم تعد ذات أهمية نهائياً ولا يحسب لها حساب، أصبح هناك أسس أخرى يُعتمد عليها ومن خلالها يُتخذ الموقف، وعلى أساسها تُبنى المواقف وتُتخذ القرارات، وتُحدد المسارات، ويتحرك الكثير من الناس، في مقدمة هذه:

المال: فالكثير من أبناء الأمة كان جاهزاً ومستعداً لاتخاذ أي موقف يُطلب منه، قتلاً أو سباً أو حقداً أو كرهاً أو حصاراً، أي ممارسة، أي عمل مهما كان بشعاً، مهما كان سيئاً في مقابل الحصول على المال، طمع، هذه تربية الباطل التي تُفسد الإنسان وتحوّله إلى إنسان جشع، وطَماع لدرجة فظيعة جداً، فيصبح جاهزاً لاتخاذ أي موقف مهما كان بعيداً عن القيم والأخلاق والمبادئ... وإلى آخره.

في مقابل الحصول على المال مستعد أن يعمل أي شيء حتى لو قُتل الحسين سبط رسول الله، وحتى لو عاد رسول الله من جديد وكان الأمر يستلزم أن يقتل رسول الله لم يكن يتحرّج من فعل ذلك، المهم هو الحصول على المال، تربية الباطل التي تُربي على حالة رهيبة من الجشع والطمع والحرص والشح الذي يوصل الإنسان إلى مستوى فظيع ومتدني جداً، مع

أن موقف القرآن الكريم يُربي الإنسان على التقوى، يُزكّي نفسية الإنسان من حالة الطمع والشح والجشع والهلع، يُزكّي نفسيته ويُربّيهِ على البذل والعطاء والإحسان والجود والكرم وما إلى ذلك.

ونجد كيف أن زعماء قبائل الكُوفَة تغيّر موقفهم من أول ما استدعاهم عُبيد الله بن زياد وأعطاهم المال، وبسرعة غيروا موقفهم تجاه الإمام الحسين «عليه السلام» وتحولوا إلى جند مجنّدة لصالح الباطل وفي صف الباطل.^(١)

المنصب: نجد عاملاً آخر إلى جانب المال، من أهم العوامل أيضاً عندما أضاعت الأمة المعايير والأسس والقيم والأخلاق، وأصبح هنالك أشياء أخرى تُبنى عليها المواقف، عامل آخر هو: المنصب، البعض من الناس في مقابل الحصول على منصب معيّن أو وظيفة معيّنة هو حاضر ومستعد ولا يمانع أبداً في أن يتخذ أي موقف مهما كان باطلاً، وفي أن يمارس أي ممارسة مهما كانت بشعة وظالمة لا تتفق مع الإسلام ولا حتى مع الفطرة الإنسانية بأي حالٍ من الأحوال، المهم هو المنصب، والمهم هو الوصول إلى المنصب، مستعد أن يقاتل أياً كان، ويقتل أياً كان، ويفعل أي شيء ممكن في مقابل الوصول إلى منصب أو الحصول على وظيفة.

هكذا هي تربية الباطل التي تربي الإنسان على أن يكون عاشقاً للمنصب والسلطة والتسلط بأي ثمن ولو كان الأمر يستدعي أي موقف مهما كان ظلماً وسوءاً ولو كانت العقابة جهنم.

ونجد هذه الأحوال وهذه العوامل هي المؤثرة ولا زالت في واقع الكثير من الناس من أبناء أمتنا، الحال امتد عبر الأجيال، ونجد اليوم الشواهد الكثيرة

(١) من كلمة السيد القائد في عاشوراء لعام ١٤٣٥ هـ.

على الذين يعملون أي شيء مقابل المال، وعلى الذين يعملون أي شيء مهما كان مقابل الوصول إلى منصب أو الوعد بمنصب أو وظيفة.

الخوف: عامل آخر من العوامل السيئة التي تُبنى عليها المواقف، وتتخذ على ضوءها القرارات، وتُحدد المسارات والتوجهات كان هو: **الخوف**، ولا يزال كذلك لدى الكثير من الناس **الخوف**، الكثير من الناس جهلهم بالله **«سبحانه وتعالى»** يُنمّي فيهم حالة **الخوف** من غيره أكثر منه، أكثر من الله، فيخافون من العبيد أكثر من ربّ العبيد، أكثر من الله **«سبحانه وتعالى»**، بينما تربية القرآن وتربية الإسلام هي تربية تُنمّي فينا **الخوف** من الله فنخشاه فوق كل شيء، ونخاف منه فوق كل شيء، نخاف منه فوق كل شيء.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، **﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾** هكذا يقول الله: **﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: ١٧٥] الله جبار السماوات والأرض المُقتدر العظيم، ملك السماوات والأرض القاهر فوق العباد، الغالب على أمره المهيمن على عباد، مُدبّر شؤون السماوات والأرض، المُحيي المميت، والرّزاق ذو القوّة المتين، هو الأولى بأن نخافه، أن نخشاه ومن بيده جهنم، بيده أشدّ عذاب، وأقسى عذاب، وآلم عذاب، هو أولى بأن نخشاه وأن نخاف منه، لكن البعد عن تربية الإيمان وعن قيم الإسلام يثمر هذه النتيجة فيكون أمامك أمة من الناس مكبلين بقيود **الخوف**، وخائفين.

كان بإمكان العراقيين في ذلك الزمن وأهل الكوفة بالتحديد وهم بالآلاف كان بإمكانهم أن يكونوا جيشاً مؤمناً منطلقاً على أساس من إيمانه ويفوا مع الإمام الحسين **«عليه السلام»** وفي نفس الوقت كان مكفول لهم من الله النصر

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] وكل مخاوفهم كانت ستذهب ولن يتضرروا أبداً بالقدر الذي كانوا يتوقعونه.

لاحظوا كفت دعاية واحدة، دعاية نشرها عملاء بني أمية بين أوساط أهل الكوفة أن جيش الشام قادم، وأنه سيخرب دوركم ويقتل مقاتلتكم ويُرمل نساؤكم ويُيتم أولادكم وهكذا بلغة الإرجاف والتهويل، فأخافتهم وأعدتهم عن نصر الحق وشغلتهم ودفعتهم إلى نصر الباطل، دعاية واحدة.

حينما تنمى حالة الخوف في نفوس الناس من الطغاة والظالمين والمجرمين يفقد الناس ثقتهم برّبهم وثقتهم بأنفسهم فيكونون مهينين لأن يندفعوا وبسرعة وبدون ثمن بدون مقابل، إنما نتيجةً لحالة الخوف، وفريق كبير من الناس تؤثر فيهم حالة الخوف وتُعد عاملاً أساسياً لتحديد مواقفهم التي ينطلقون فيها ويتبنونها.

العصبية: عاملٌ آخر من العوامل المؤثرة في كثير من الناس: العصبية التي تُبنى عليها التبعية العمياء، إما عصبية قبلية لقبيلته أو طائفية لمذهبه، وبالتالي يتحرك فوراً في أي اتجاه دون أن يتحقق فيما هو عليه هل هو على الحق أو على الباطل؟ لا. قالوا: هيا إلى قتال الرافضة. قال: هيا، وبادر.

العصبية كما ورد تفسيرها في الحديث هي: أن تُعين قومك على الظلم، أن تُعين قومك على الظلم، تتحرك معهم وهم هم المخطئون الظالمون الجائرون المعتدون. وللعصبية تأثيرها في واقع الأمة بشكل كبير.

كان هذا جانب من الجوانب التي هي نتاج لما قال عنهم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ((**اتخذوا دين الله دغلاً**)) جانبٌ منه يستهدف القيم، ويستهدف الأخلاق، ويربي الأمة تربية على الباطل، فإذا جرد الإنسان

من أخلاقه وقيمه أصبح جاهزاً لأي شيء مهما كان سيئاً، وعبداً للظالمين وخادماً لهم ونصيراً لهم.^(١)

٢. تحريف المفاهيم الدينية

جانب من «اتخذوا دين الله دغلاً» هو: تحريف المفاهيم الدينية بما يخدم سياستهم، أولئك الظالمون الجائرون المفسدون عمدوا أيضاً كما استهدفوا القيم، استهدفوا المفاهيم كثيراً من المفاهيم، مثل شرعنة الطاعة للظالمين وإيجابها وجعلها من دين الله عبادةً وقربةً إلى الله، جعلوا طاعة الظالمين من طاعة الله، وطاعةً لله وعبادةً لله، وقربةً إلى الله، وجعلوها سبيل أجرٍ وثوابٍ وقربةٍ وزُلفى، وهذا من أعجب العجب، من أعجب ما حصل في تاريخ الأمة الإسلامية! ومن أغرب ما حصل أن تشرعن، تصبح شرعية وتصبح دين، وتصبح عبادة، وتصبح قربة طاعة الظالمين الجائرين. عندما نتأمل في هذا الجانب التحريف للمفاهيم الدينية، من الذي يؤدي هذا الدور؟ ومن الذي يقوم به ويعمد إليه؟ من هي مهمته؟ من هو الذي يشتغل هذا الشغل؟ هم علماء السوء علماء البلاط، علماء السلاطين، مع احترامي لكل العلماء الصالحين نحن لا نقصدهم، كل العلماء الصالحين المستقيمين نحن لا نقصدهم، كلامنا هنا بالتحديد عن علماء السلاطين، علماء البلاط، العلماء الذين كانوا مرتبطين بالظالمين مناصرين للظالمين، ينصرونهم عبر تاريخ الأمة وإلى عصرنا هذا لا يزالون كذلك وسيستمررون على ذلك؛ لأن العلماء صنفين: علماء سوء، وعلماء صالحين أصحاب حق وأصحاب حقيقة وواقفين في صف الحق، مُعانين مظلومين مُضطهدين.

(١) من كلمة السيد القائد في عاشوراء لعام ١٤٣٥ هـ.

لكن هناك علماء سوء، مهمتهم التي يمارسونها وهم جنباً إلى جنب مع الظالمين مع المفسدين مع الجائرين، مع سلاطين الجور مهمتهم هي تحريف المفاهيم الدينية، لتوظيف الدين لمصلحة الطغاة والجائرين، ولتحقيق ذلك يستخدمون أساليب متعددة منها: تنزيل النصوص الدينية في غير محلها وعلى غير واقعها وهنا جريمتان: افتراء وكذب في التوصيف، ثم جريمة التوظيف للنص الديني في غير محله .

أولاً: يقومون بتوصيف حالة معيّنة بغير وصفها وبغير واقعها بما يتمكنون من خلاله على أن يطلقوا نصاً دينياً يوظفونه عليها ليتطابق عليها، مثلاً: يأتون إلى قول الله <سبحانه وتعالى>: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] هذا نص من القرآن صحيح، آية قرآنية من كتاب الله، لكنهم يُنزلونها على غير محلها، يأتي - مثلاً - إلى القائمين بالقسط، القائمين بالحق، الواقفين في وجه الظلم، المنادين بالعدل والعدالة فيسمي عملهم الذي هو حق وما يقومون به في سبيل إحقاق الحق وإقامة العدل، يسميه عالم السوء، عالم البلاط، يسميه حرباً لله ورسوله وإفساداً في الأرض..و..إلى آخره، ويصيغ بياناً يوقعه مع غيره من أمثاله ويقرؤون الآية القرآنية ويدعون إلى قتلهم والتنكيل بهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو ضربهم بالطائرات أو إبادتهم بأي سلاح، يُنزل النص القرآني في غير محله، على غير واقعه، ويكذب حينما يوصف حالة معيّنة أنها نفس الحالة التي يتحدث عنها النص الديني في القرآن الكريم أو من الرسول <صلى الله عليه وعلى آله وسلم>..

مثال آخر: آيات الجهاد، عندما يُنزل آيات الجهاد وهو يقصد التحرك في

خدمة الباطل فيسميه جهاداً، يسمى القتال تحت الراية الأمريكية بعناوين طائفية أو بأي عنوان آخر، يسميه جهاداً، ثم يحشد النصوص القرآنية التي تتحدث عن الجهاد ولكن في غير محلها.

أنت عندما تقاتل لمصلحة الأمريكيين والإسرائيليين هذا ليس جهاداً، هذا شراً، هذا عدواناً، هذا ظلماً، هذا بغياً، لا يسمى جهاداً أبداً، عندما تتحرك في أوساط الأمة تحت عناوين طائفية تُطلق على أولئك أنهم رافضة، ثم تحشر النص القرآني الذي يتحدث عن الجهاد في غير محله.

مثال آخر: عندما كانوا يقولون - سوءاً - عن الإمام الحسين «عليه السلام» أو غيره من الثوار الذين ثاروا قياماً بالحق ونصرةً للحق وإقامةً للعدل من بعد الإمام الحسين «عليه السلام» كانوا يقولون (شقّ عصا المسلمين)!. وفي الحقيقة هو شقّ عصا المجرمين، عصا الظالمين، عصا الجائرين التي بها يضربون الأمة ويسوقون الأمة إلى جهنم، إلى الخسران إلى الشقاء في حياتها في الدنيا وفي الآخرة، شقّ عصا الجائرين، أما المسلمين لم يشقّ عصاهم هو يعمل لقوتهم، لعزتهم.

مثال آخر: هو التكفير، عندما يطلق التكفيريون مسمى الكفر على مسلمين؛ لأنهم اختلفوا معهم في المذهب أو في الفكر أو في التوجه، فيطلقون عليهم كفراً ثم يوردون كل النصوص القرآنية التي تتحدث عن الكافرين وكأنها تعني أولئك وهي لا تعنيهم، هم المسلمون حقاً في الأساس، هذا واحد من أساليب التحريف للمفاهيم الدينية من خلال تنزيل النص الديني في غير محله على غير واقعه بتوصيف كاذب واقتراء وبهتان.

أسلوب آخر من تحريف المفاهيم من خلال: تقديم مفاهيم باطلة من الأساس والافتراء على الله وعلى رسوله لإضفاء شرعيتها واعتبارها من

الدين، مثلما تقدّم من شرعنة طاعة الظالمين الجائرين واعتبارها من طاعة الله وعبادةً إلى الله وقربةً إلى الله، هذا واحد من الأساليب.

٣. استعباد الناس

«واتخذوا عباد الله خولاً» فاستعبدوهم وسخّروهم لخدمتهم ومصالحتهم. ومظاهر الاستعباد والسُّخرة للأمة من جانب حُكّام الجور والظالمين متعددة وعلى كل المستويات:

على المستوى العسكري وفي ميادين القتال؛ حيث يدفعون الكثير من الناس للقتال والقتل في سبيل تقوية أمرهم، واستحكام سلطانهم، وتعزيز هيمنتهم، وسطوةً منهم بالمستضعفين، وظلماً للمظلومين، وبطشاً بالصالحين، وتنكيلاً بالأحرار، وإذلاً للناس، وإنفاذاً لأمرهم الباطل فيما ليس لله فيه رضى، ولا للأمة فيه خيرٌ ولا مصلحة.

وعلى المستوى الثقافي والفكري؛ حيث يدفعون بعلماء البلاط ووعاظ السلاطين لتحريف المفاهيم وشرعنة الظلم، وتدجين الأمة باسم الدين، وإبعادها عن النهج القويم.

وعلى المستوى الإعلامي؛ حيث يدفعون البعض ليكونوا أبواقاً لهم، وألسنة سوءٍ كاذبة، فينشرون الشائعات الباطلة والأكاذيب، ويقولون الزور والبهتان، ويزيفون الواقع والحقائق، ويكتبون بأقلامهم المأجورة كذلك، خدمةً وسُخرةً وشكلاً من أشكال العبودية للطغاة.

٤. الاستئثار بالمال

«واتخذوا مال الله دُولاً» فينهبون خيرات الأمة وثروات الشعوب، ويستأثرون بالمال العام، ويتداولون به في مصالحهم الشخصية على سبيل الترف والإسراف، ولشراء الولاءات والمواقف، وشراء الذمم، ويتركون الأمة تعاني ويلات الفقر، ونكد العيش، والمعاناة بكل أشكالها. وهكذا مضى واقع الأمة الإسلامية على امتداد التاريخ منذ استحكام القبضة الأموية على سلطان الأمة وإلى اليوم، إلا في الحالات النادرة والمحدودة والاستثنائية.^(١)

٥. عملوا على إحياء الموروث الجاهلي

في بعض من الحالات استوى واقع الأمة في إسلامها وفي جاهليتها، وبقي في واقع الناس من الإسلام واقعاً شكلياً بعيداً عن الجوهر والمضمون والأساس الفاعل والمؤثر في حياة الناس، وبذلك فعلاً كانت المأساة كبيرة جداً؛ لأنهم غيّبوا من الدين ما به صلاح الناس والحياة وما تتعززه مكارم الأخلاق والصفات الحميدة وما يبني واقع الأمة على ما أراده الله لها كأمة مستخلفة في الأرض، لها مسؤولية كبيرة ويُنَاط بها مهام عظيمة وجسيمة، ويراد لها أن يكون لها الريادة والسيادة في الأرض، ووصلت الأمور إلى أن كانت فعلاً الحالة التي عاشها الإمام الحسين «عليه السلام». ما قبل الشهادة حالة غربة، وهي لغربة تلك القيم والأخلاق في واقع الأمة.

هذه الأمة للقيم والأخلاق دوراً أساسياً في دينها، ومعظم الدين هو قيم وأخلاق، جانب كبير من الدين مرتبط أساساً بالأخلاق والقيم، وما يتفرع في

(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٦ هـ.

واقع الإنسان من العمل على المستوى الفردي أوفي واقع الناس على المستوى الجماعي من الأعمال والتصرفات هي ترجمة لتلك القيم وهي تفرعات عن تلك القيم وعن تلك الأخلاق تجسدها وتتفرع عنها وتعبّر عنها، فهي نتاجُ لها، أعمال الإنسان وتصرفاته هي نتاج لأخلاقه على ضوء أخلاقه، بطبيعة أخلاقه يتصرف، يعمل، يعامل، يتخذ المواقف قوله وفعله وتصرفاته كلها.

٦. عملوا على تغييب أهل البيت من ذاكرة الأمة

هكذا يُنسى الحسين كما يُنسى قبله محمد، كما يُنسى فيما بينهما علي، كما يُنسى القرآن، كما تُتجاهل كل تلك الآيات القرآنية أكثر من خمسمائة آية في القرآن الكريم تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، والمئات الأخرى من الآيات القرآنية التي لها موقف واضح تجاه الظالمين، وتجاه الكافرين، وتجاه الجائرين، تجاه أهل الكتاب، تجاه اليهود والنصارى، يتم تجاهل ذلك كله.

لكن تُقدم صورة أخرى عن الدين، عن الإسلام، عن رموز الإسلام، عمن يجب أن ترتبط الأمة بهم، عمن يجب أن تقتدي الأمة بهم، من أحوج ما تحتاج إليه الأمة أن تكون على بصيرة بمن ترتبط بهم في موقع القدوة؛ وإلا فلأسف الشديد يصبح التنصل عن المسؤولية، الرفض للجهاد، الابتعاد عن الحق، الابتعاد عن الموقف القرآني من الظالمين والجائرين والرضوخ لهم، والسكوت والصمت والتنصل عن المسؤولية، يصبح ديناً يتدين به البعض! وتتحول المساجد إلى سجون للظالمين، يُسجن الناس فيها سجنًا ويُدجّنون من خلالها، ويصبح مشروعاً: مشروع علمي، مشروع ديني، مشروع يتم التوجه على أساسه في واقع الحياة والحث عليه والدعوة إليه، وهذه قضية خطيرة.

وكم نحتاج في عصرنا هذا وهو عصر خطر جداً، السكوت فيه جريمة كبيرة، المخاطر فيه على الأمة مخاطر كبيرة، ليس لها سابقة، مخاطر كبيرة جداً، الأمة على حافة الهاوية، استحكام قبضة الأعداء من اليهود والنصارى عليها إلى مستوى ليس له سابق، ليس له مثيل فيما مضى، وأمام هذه المخاطر الكبيرة تحتاج الأمة إلى هذه الروحية، روحية الإمام الحسين وعزيمته.^(١)

كانت هذه خلاصة ما وصلت إليه الأمة في ظل التسلط الأموي، ومما زاد الحال سوءاً هي الخطوة التي ختم معاوية بها حياته بتنصيبه ابنه السكير الخميريزيد على رقاب المسلمين من بعده، فلم يجد الإمام الحسين «عليه السلام» بداً من إعلان الثورة لإنقاذ الأمة من هذه الوضعية التي قد وصلت إليها.



(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك لمناسبة عاشوراء ١٤٣٢ هـ

هلاك معاوية وصعود يزيد

في منتصف شهر رجب سنة ستين من الهجرة معاوية بن أبي سفيان يغادر الدنيا بعد حياة حافلة بالظلم والطغيان والفساد والتحريف للدين، وبعد أن أحيا الموروث الجاهلي وأعاد الأمة إلى جاهلية هي أسوأ من الجاهلية الأولى، ولم يكتف بما فعل بالأمة في حياته وإنما ختم حياته بتنصيب ابنه: يزيد (السكرير الخمير المستهتر بالدين وبالأمة وبالمقدسات) على رقاب هذه الأمة ليواصل مسيرة الظلم والطغيان.

ومما جاء في عهد تنصيبه: "هذا ما عهد (به) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد بن معاوية: أنه قد بايعه، وعهد إليه، وجعل الأمر من بعده إليه، وسماه أمير المؤمنين، على أن يحفظ هذا الحي من قريش، ويبعد قاتل الأحبة هذا الحي من الأنصار، وأن يقدم بني أمية وبني عبد شمس على بني هاشم وغيرهم... إلى أن قال: فمن قرئ عليه هذا الكتاب وقبله وبادر إلى طاعة أميره أكرم وقرب، ومن تلكأ عليه وامتنع فضرب الرقاب".

فلما خرجوا من عنده أقبل على يزيد وقال: يا بني إني قد وطأت لك البلاد، وأذلت الرقاب وبوئت بالأوزار، ولست أخاف عليك من هذه الأمة إلا أربعة نفر من قريش: فرخ أبي تراب شبيه أبيه، وقد عرفت عداوته وعداوة آل له لنا، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

فأما عبد الرحمن بن أبي بكر فمغرم بالنساء، فإن بايعك الناس بايعك، وأما ابن عمر فما أظن أنه يقاتلك ولا يصلح لها، فإن أباه كان أعرف به، وقد قال: كيف أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته.

وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لا يدعونه حتى يخرجوه عليك

ويكفيكه الله بمن قتل أباه، وأما ابن الزبير فإن أمكنتك الفرصة فقطعه إرباً إرباً فإنه يجثم جثوم الأسد ويروغ روغان الثعلب.^(١)

الإمام الحسين يُطلب منه البيعة ليزيد

هلك معاوية سنة ٦٠هـ واعتلى يزيد - المعروف بسكره ومُجونه - الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وكتب إلى ولاته بأخذ البيعة له. وكان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والياً على المدينة فكتب إليه يزيد أن يأخذ البيعة من أهل الحجاز، ومن أبي منهم قتله، وشدد عليه بأخذ البيعة من الحسين «عليه السلام» وعبدالله بن الزبير.

دعا الوليد (مروان بن الحكم) واستشاره. فقال: أحضرهم الساعة قبل أن ينتشر موت معاوية فمن أبي البيعة فاضرب عنقه. فقال الوليد: والله لا أفعل. أأقتل الحسين؟

فقال مروان كالمستهزئ به: أصبت.

ودعا الوليد الحسين بن علي وابن الزبير، فقال ابن الزبير للحسين «عليه السلام»: فيم تراه بعث إلينا هذه الساعة؟

قال: إني أظن أن طاغيتهم قد هلك، فيريد معاجلتنا بالبيعة ليزيد (الخمير) قبل أن يدعوا الناس، فقد رأيت البارحة فيما يرى النائم منبر معاوية منكوساً وداره تشتعل نيراناً.

ثم عاودهما رسول الوليد، فدخل الحسين «عليه السلام» منزله فاغتسل وتطهر وصلى عدة ركعات ودعا واستخار الله، ودعا جماعة من أهل بيته

(١) المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني.

ومواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا.

فصار الحسين «عليه السلام» إلى الوليد بن عتبة فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين [أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون] ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له. فقال الحسين «عليه السلام»: فنصبح ونرى في ذلك، فقال الوليد: انصرف حتى تأتينا مع الناس.

فقال مروان: والله لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا تقدر منه على مثلها أبداً حتى يكثر القتل بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب الحسين «عليه السلام» عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت. ^(١)

ثم أقبل على الوليد فقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينما أحق بالبيعة والخلافة، ثم خرج «عليه السلام».

ولحق به مروان فقال: يا أبا عبد الله أطعني وبايع أمير المؤمنين يزيد.

(١) المصاييح في السيرة لأبي العباس الحسني . بحوث في الملل والنحل لسبحاني.

فقال الإمام الحسين «عليه السلام»: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويليكَ يا مروان، مثلك يأمرني بطاعته، وأنت اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله؟! فرأه مروان. فخرج مغضباً.^(١)

الإمام الحسين يقرر الثورة ويتجه صوب مكة

وداع الحسين لقبر جده المصطفى

لما كان بعض الليل أتى الحسين «عليه السلام» قبر رسول الله فودعه وصلى ما شاء الله وغلبته عيناه، فرأى كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في محتوشين^(٢) فاحتضنه وقبّل بين عينيه وقال: يا بني العجل العجل، تأتي يا بني إلى جدك وأبيك وأمك وأخيك. فانتبه «عليه السلام» وأخبر أهل بيته. ثم ودعهم وخرج بمن خرج معه من ولده وإخوته وبني أخيه وبني عمه نحو مكة، فقدمها وأقام بها خمسة أشهر أو أربعة.^(٣)

يصور السيد القائد عبد الملك حفظه الله هذا المشهد المؤلم فيقول: مدينة الرسول «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» كانت يوماً ما منطقة عامرة بالإسلام، عامرة بالحق، من على منبر المسجد كان يوجّه رسول الله محمد ذلك النور الإلهي وحي الله الطري المنزل وبه يعالج قلوباً مرضى ويشفي نفوساً ويذكرها ويطهر قلوباً ويقوم سلوكاً وعملاً، يبني هذه الأمة ويصلحها. ومن ساحة تلك المدينة كانت تتحرك ألوية الجهاد وسرايا الجهاد في

(١) المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني.

(٢) جعلوه وسطهم.

(٣) نفس المصدر السابق.

سبيل الله تحت قيادة النبي من أجل الإسلام، من أجل أن يسود العدل، أن يقوم الحق، أن يزول الظلم، أن تُطَهَّر الأرض من الفساد والجريمة؛ لكن في مرحلة متأخرة بعد أفاعيل وعمل ومشاريع لهدم هذه الأمة ولهدم جهود النبي في هذه الأمة.

وجد الإمام الحسين نفسه غريباً في مدينة جدّه لا ناصر ولا مجيب، يدعوفلاً مجيب له، يضطر لأن يخرج من تلك المدينة خروج موسى من مصر، وخروج رسول الله من مكة وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

من مدينة جدّه حيث يرقد النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الثرى وفي تلك التربة وجد ابنه، حفيده، نسخته المصغرة، وريثه في الأمة، القائم مقامه وجد نفسه غريباً لا مجيب ولا ناصر، التخاذل قد ساد ذلك المجتمع، الرضا بكل شيء، القبول بكل شيء، القبول بأن يُظلموا، القبول بالفساد، القبول بالجريمة، مجتمع لا يوجد عنده أي ممانعة.

خرج واتجه صوب مكة، وهناك على أمل اجتماع الناس في الحج وفي فريضة الحج أن يحاول سبط رسول الله وحفيد رسول الله ونسخة رسول الله المصغرة، يحاول أن يستنهض الناس هناك في مكة المكرمة أثناء فريضة الحج أو توافدهم من أجل فريضة الحج أن يستنهضهم، أن يُذَكِّر الأمة بمسؤوليتها، أن يُذَكِّر الأمة بالخطورة الكبيرة حينما سلّمت زمامها وقيادها وشؤونها ودينها وديناها لطاغية فاجر فاسق تعرف الأمة فجوره وفسقه وطغيانه ولا يمكن أن يُقدّم لهذه الأمة إلا ما يتحلّى به وإلا ما عُرف عنه.

وصل مكة والتقى بوفود الحجيج من شتى أقطار العالم الإسلامي

وبصوته الحرّ، صوت الحرّيّة، صوت الحق، صوت القرآن، صوت الإسلام، ذكّر الأمة هناك، المذكّر هو الحسين معروف بمقامه في هذه الأمة برؤياه، بكلماته، بمواقفه، نتذكر الجنة حينما نعرف أنه سيد شباب أهل الجنة، يقود إلى الجنة، يسير في اتجاه الجنة، في اتجاه رضوان الله، إلى الله إلى العز إلى المجد، لكن لا مجيب، كان يقول: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا تكبراً ولا ظالماً ولا مفسداً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»؛ لأنّ الأمة فعلاً كانت بحاجة إلى إصلاح، أمة فسدت وفقدت كل القيم، فقدت الضمير، فقدت المسؤولية، فقدت العز، فقدت الطهر، فقدت الصلاح.

«إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»؛ لأنه يعرف أن مسؤوليته من بعد جدّه أن يسير على خطى جدّه وفي طريق جدّه محمد؛ لإصلاح أمة جدّه، «أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

فلم يكن موقفه ناشئاً عن فراغ أبداً، ولم يكن منافياً للحكمة، ولم يكن تهوراً، ولم يكن من أجل قضية شخصية، كان لهذا الهدف العظيم، لهذا الهدف السامي، على هذا الأساس، الذي هو أساس إيماني نابع من إيمان، نابع من الهدى «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، إصلاح في واقع هذه الأمة، الواقع السيئ الخطير على الأمة نفسها، الخطير على الأمة نفسها، «أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر» باعتبار هذه مسؤولية حتمية يفرضها القرآن، يفرضها الله، يفرضها الإيمان نفسه، الدافع الإيماني نفسه.

فالإمام الحسين «عليه السلام» وهو يتحرك على هذا الأساس، على أساس إصلاح واقع هذه الأمة، الأمة التي أراد الله لها كما قال «سبحانه وتعالى»:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران: ١١٠] هذا هو البنيان، هذا هو الأساس، هذا هو الصرح الذي أريد لهذه الأمة أن يكون بنيانها على أساسه، أمة تأمر بالمعروف، أمة تقيم العدل، تقيم الحق، أمة - حتى تكون بهذا المستوى وتحمل هذه المسؤولية - تحتاج إلى أن تكون مهتدية، تكون نفوس أبنائها نفوساً زاكية، وقلوباً طاهرة، وسلوكاً مستقيماً، وساحة داخلية طاهرة ونظيفة، حتى تكون بمستوى هذه المسؤولية: تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنطلق على أساس الإيمان بالله «سبحانه وتعالى».

تحتاج أمة كهذه لتكون في مستوى هذه المسؤولية أن يكون من يقودها، من يكون متحكماً بها، راعياً لها، رمزاً من رموز الحق، وعلماً من أعلام الهدى، قريناً للقرآن، من أولياء الله «سبحانه وتعالى»؛ لكن للأسف الشديد، المدى الذي كانت قد وصلت إليه الأمة من الانحراف، كان قد أوصلها إلى مستوى التنكّر للقرآن ومبادئه، التنكّر للحق، العداوة للحق حتى أصبحت مهياًة أن يكون معظم جماهيرها جاهزون وحاضرون لأن يتحركوا بسلاحهم بعتادهم ضد من يعمل على هدايتهم، ضد من يسعى لإنقاذهم، ضد من يعمل رافة بهم وشفقة عليهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، من الضلال إلى الهدى، من مستنقع الظلم والفساد إلى واحة العدل، إلى طريق الحق.

هكذا كانت الأمة قد هيئت وانحرفت إلى حد كبير، وتنكرت لقرآنها، لربها، لتعاليم دينها، وخنعت وخضعت لطغاتها، لأشرارها، لسفهاها، لجبابرتها، من ليس لديهم أي حرص عليها، ولا شفقة بها، ولا إرادة للخير لها.^(١)

(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩هـ.

كانت مسؤولية الإمام الحسين تجاه أمة جده تفرض عليه أن يتحرك

الإمام الحسين لم يقبل أبداً بالبيعة ليزيد، ولم يقبل أبداً بالخنوع والسكوت والجمود؛ لأنه يدرك مدى خطورة ذلك، كان إيمانه، وكانت عزته، وكانت قيمه، نفسيته العظيمة التي تشبعت بالإيمان بكل ما في الإيمان، وبالارتباط الوثيق بالله «سبحانه وتعالى»، كانت تأبى له أن يسكت، وأن يخضع، وأن يستسلم، وأن يتقبل بهذا الواقع السيئ، وكانت مسؤوليته من موقعه بالمسؤولية تجاه أمة جده تفرض عليه أيضاً أن يتحرك في أوساط الأمة، وأن ينادي بأعلى الصوت وبكل قوة بالموقف الحق، وأن يدعو الأمة إلى التحرك الصحيح لرفض كل ذلك الباطل السيئ، الذي يراد له أن يفرض عليها وأن يتحكم بها.

فالإمام الحسين «عليه السلام» تحرك عن وعي، عن بصيرة، عن قناعة راسخة، تحرك بحركة القرآن، بما يمليه عليه القرآن، بما تمليه عليه هويته الإيمانية، وارتباطه الوثيق، وبما تفرضه عليه المسؤولية، تحرك بكل عز، وبكل إباء، وبكل شموخ، وهو يقول: «ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»، ويرى الحالة الجديدة التي قد سادت في واقع الأمة، وفي أوساط الأمة، بكل ما تمثله من خطورة رهيبة على الأمة.

يرى أن هناك شكلاً جديداً للإسلام، ليس هو الإسلام المحمدي، ولا الإسلام القرآني، هو الإسلام بلباسه الأموي، بثوبه الأموي الجديد، ثوب النفاق، ثوب الضلال، الذي يريد أن يسود في واقع الأمة إسلاماً لا يبقى منه إلا شكليات مُجَيِّرة بما يخدم الظالمين، مُجَيِّرة فيما يفيدهم ويدعم موقفهم، تبقى المساجد لخدمتهم، والمنابر لخدمتهم، والمال العام

لخدمتهم، وبعض العناوين الدينية التي تُفَرِّغ من محتواها الحقيقي، ثم تُصَمَّن بمحتوى آخر هو باطل، هو ضلال، هو فساد، يبقى العنوان عنواناً إسلامياً، والمضمون مضموناً أموياً نفاقياً، كله ضلال، وكله طغيان، وكله انحراف بالامة.

يرى هذا الواقع المرّ، هذا الواقع المأساوي الذي عبر عنه بقوله هو ينادي في أوساط الأمة: «ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يُتَنَاهَى عنه»، الحق يزاح من واقع الحياة، يبقى الإسلام بدون حق، أي إسلام هذا الذي أزيح منه الحق، الحق بكل تفاصيله، الحق في عقيدة الأمة، الحق في ثقافة الأمة، الحق في سياسة الأمة، الحق في العمل، والحق في الموقف، والحق في السلوك، الحق يزاح من واقع الحياة، يبقى الإسلام حينئذ - وقد أزيح عنه الحق - مجرد عناوين شكلية مُجَيَّرَة لصالح الطغاة، ولصالح المستكبرين.

أما الباطل فهو الذي يسود ويحضر وتَحَتَّ الغطاء الذي له عناوين إسلامية؛ تحته الباطل بكل ما فيه، الباطل بكل تفاصيله، الباطل ظلاماً، الباطل فساداً، الباطل منكراً، الباطل بكل ما يشمل ويتضمن؛ حينئذ تكون العملية عملية مسخ لهوية الأمة، وعملية تفريغ للدين ب كله من محتواه الفاعل والحيوي والمهم والبناء والمفيد في واقع الحياة.

وهذا الذي رأينا آثاره السيئة في واقع الأمة، على مدى تاريخها، وإلى ما وصلت إليه اليوم، وهو واقع مأساوي ومرير.

الإمام الحسين «عليه السلام» قال للأمة في عصره وفي كل عصر فيما قاله رسولها محمد «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»: (أيها الناس، إن رسول الله قال: «من رأى سلطاناً جائراً، مُسْتَحِلّاً لِحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان؛ فلم يغيّر

عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»، وإذا فانتماؤنا نحن المسلمين لهذا الإسلام يفرض علينا - كفرض ديني ومسؤولية دينية - أن لا ندعن، وأن لا نستكين، وأن لا نخنع لسلاطين الجور، لزعماء الطغيان والظلم والفساد والإجرام.

حينما يكون من يحكم الأمة، من هو في موقع الزعامة والقرار والسلطة سلطاناً جائراً لا يلتزم بالعدل، يعتمد على الجور في ممارساته وحكمه ومواقفه وإدارته للأمة، ثم هو مستحل لما حرم الله، ليس لديه ضوابط، ولا قيود أبداً، ولا حرمة لحرم الله، وحرم الله هي التي تصون الأمة، سفك الدماء بغير حق هو من حرم الله، الأمة بكلها، الإنسان بكرامته، الإنسان بكرامته وحقه في الحياة؛ هو من حرم الله، حرم الله إذا استحلّت معناه: أن تستباح الأمة، ويستباح في واقع الأمة كل شيء.

وهذه النماذج هي التي نراها اليوم ما ثلة أماننا، وهي النماذج التي اليوم تعتدي على بلدنا، وبلدنا اليوم يُراد له أن ينسلخ من كل هذه المبادئ والقيم؛ لأنها هي التي تمثل ضمانته لتمامه وثباته ولصلابة موقفه.^(١)

الإمام الحسين ثار ليخلص الأمة من واقع الظلم الرهيب

ما الذي دفع الإمام الحسين «عليه السلام» - سبط رسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم الهدى وقرين القرآن - إلى ذلك التحرك الذي ضحى فيه بنفسه، وضحى فيه بأسرته وأهل بيته، وضحى فيه بالبقية الباقية من أهل الوفاء الذين كانوا أوفياء معه، ما هو ذلك التحدي؟ ما هي تلك الأخطار؟ ما هي تلك الأحداث؟

(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٨ هـ.

إننا حينما نعود إلى تاريخ الأمة نجد أن الانحرافات الكبرى في واقع الأمة، وأن المتغيرات التي عصفت بالأمة نتج عنها أمر خطير للغاية، نتج عنها وصول شخص مجرم ظالم مستكبر طاغيةٍ مستهتر بالإسلام جملة وتفصيلاً، لا قيمة عنده لشيء في الإسلام، ولا من الإسلام، مستهتر حتى برسول الإسلام.. نبي الإسلام، حتى بالقرآن الكريم، مستهتر بالأمة الإسلامية كلها، يرى فيها الرعية العبيد، يرى فيها الأمة التي يريد أن يركعها له، أن يخضعها له، أن يستعبد بها بكل ما تعنيه الكلمة، وصول هذا الطاغية نتيجة الانحرافات السابقة إلى موقع القرار، إلى موقع السلطة، إلى موقع الحكم؛ أميراً على الأمة، قائداً للأمة، زعيماً للأمة، سلطاناً على الأمة؛ كان يمثل خطورة كبيرة جداً على الأمة في كل شيء، ابتداءً في هويتها الإسلامية، ومبادئها، وقيَمها، وأخلاقها، يمثل خطورة حقيقية على الإسلام بأكمله جملة وتفصيلاً.

ولذلك كانت المسألة مسألة خطيرة جداً، يترتب عليها نتائج كارثية في واقع الأمة، يترتب عليها هدم حقيقي لكل الجهود التي كان قد بذلها وقدمها رسول الله محمد «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»، ومن معه من المؤمنين، وذهاب لكل تلك التضحيات سدى، واستئناف للجاهلية بشكل أبشع وأسوأ مما كانت عليه، وبشكل فظيع في واقع الأمة من جديد.

فلذلك الإمام الحسين «عليه السلام» كان ببصيرته العالية، بعلمه، بفهمه الصحيح، وهو قرين القرآن الكريم، شَخَّص حقيقة الخطر، ومستوى الخطر، وبالتالي اتخذ قراره في طبيعة الموقف فتحرك.^(١)

(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٨ هـ.

الإمام الحسين لم يكن شخصاً غريباً

الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن شخصاً غريباً على هذه الأمة، ولا كانت دعوته مُستهجنة ولا مُنكرة ولا من خارج الدين ومنبع الهدى الذي تنتمي إليه هذه الأمة.

الحسين «عليه السلام» رجل معروف سبط النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»، وأن يكون سبط النبي فهو يعني: أنه في الدرجة الثانية، بعد الأنبياء أوصيائهم، وبعد الأوصياء الأسباط، هو سبط النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وهو الشخص الذي وقف النبي يوماً أمام الملائكة ليقول للأمة عنه: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط» حينما وقف النبي ذلك الموقف ليقول لأمته هذا الكلام فهو يُقدِّم الحسين على أنه نسخة مصغرة من رسول الله، عندما يقول: «**حسين مني وأنا من حسين**»، حسين يُمثل رسول الله في هذه الأمة، نسخة مصغرة من الرسول «صلى الله عليه وعلى آله وسلم». على أن يكون هو بعد جدّه في مرحلة معيّنة، في وقت معيّن، في زمن معيّن يتولّى هو موقف النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»، يقف مقام النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم». ورث من جدّه إيماناً وطهراً وصلاحاً وزكاءً ونوراً وهدى وحرصاً على هداية أمة جدّه، حرصاً على صلاحها، حرصاً على عزتها.

النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» عندما أخبر الأمة عن الحسين «عليه السلام» وأنه سيُقتل بسيف هذه الأمة في حالة انقلاب من هذه الأمة هو ذكّر بقضية حتى ما يكون هناك أي اشتباه في الحسين ولا في قضيته ولا في مقامه.

إذاً مقام الحسين «عليه السلام». مقام معروف، الحسين لم يكن مجهولاً ولم تكن قضيته مشتبهة حتى أن الأمة لا تعرف هل هو على حق أم هو على باطل! لا؛ لكن الأمة هي التي كانت هي قد وصلت إلى حالة خطيرة من الابتعاد عن قيم الإسلام من بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»؛ حيث رُبِّيت تربية ثانية، تربية تختلف عن تربية الإسلام، تختلف عن تربية القرآن، تختلف عن تربية محمد «صلى الله عليه وعلى آله وسلم».

ويزيد أيضاً لم يكن شخصاً مجهولاً

يزيد لم يكن أيضاً شخصية مجهولة، الأمة تعرف أنه هو عنصر ضال مفسد مجرم، مشهور بالخمرة، مشهور وهو يجعل على أحد الكرسيين الذين بجواره على أحدهما قرناً وعلى الآخر (سرجون النصراني)، سرجون الرومي كان رجلاً يمثل ما يمثله السفراء الأمريكيون اليوم في المنطقة العربية، سرجون النصراني كان يمثل السفير للروم للنصارى عند يزيد ومستشاراً ليزيد، يشير عليه بالرأي ويدبره ويوجهه ويأمره وينهاه، كان بجوار يزيد عن يمينه قرد وعن يساره ماذا؟ عن يساره سرجون النصراني رجل نصراني يحمل كل الحقد والضغينة على هذه الأمة، لا يريد لهذه الأمة ولا ذرة من الخير، ولا يهتم أن يكون لها أي شيء من الصلاح، أن يتولى أمة كان على رأسها محمد، محمد النبي، محمد العظيم، محمد الزكي ليكون أول يصنع من هذه الأمة أمة عظيمة، طاهرة، مقدسة، رسالتها عظيمة، ساحتها طاهرة ونظيفة، أمة قوية عزيزة شريفة طاهرة، رسالتها الإسلام، رسالتها المعروف، موقفها ضد، ضد المنكر، أن يصل الحال إلى أن يكون من يسودها ويقودها ويتحكم برقاب أهلها وفي شؤون حياتهم وأمورهم رجل الخمر، كؤوس الخمر كانت



نادراً ما تفارقه حتى في مجالسه العامة، المُجُون، الفسق، الجريمة.
 وإنسان هو على هذا النحو إنسان مجرم، فاسق، فاسد، فاجر، ماذا يمكن
 أن يُقدّم للأمة؟! ماذا يمكن أن يعمل للأمة؟! هل سيصنع للأمة مجداً؟!
 هل سيسود في أمة - هو يقودها - الخير؟! معه الجريمة، معه الظلم، معه
 الطغيان يُفسد هذه الأمة، يُضلّ هذه الأمة، يُدنّس هذه الأمة، يكسبها من
 رجسه ويصبغ عليها من فجوره وطغيانه ورذيلته وسوئه وقبحه فيحوّل
 هذه الأمة التي أريد لها أن تكون أمة عظيمة، ممجدة، طاهرة، صالحة تنشر
 دين الله في الأرض وتقيم الحق وتقيم العدل وتقيم الخير وتتجه إلى طريق
 الله وإلى الجنّة، إلى السعادة، إلى الفلاح، مثل هذه الأمة عندما يسودها
 ويقودها ويتحكم بشؤونها مجرم لن يُقدّم للأمة إلا الجريمة وإلا الفساد وإلا
 الظلم وتتضرر الأمة.^(١)



(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩ هـ.

مسلم بن عقيل مبعوث الحسين عليه السلام

بلغ أهل الكوفة نزول الإمام الحسين عليه السلام مكة وإعلانه الثورة على الظلم وأنه لم يبايع ليزيد فوفد إليه وفد منهم، عليهم أبو عبد الله الجدلي، وكتب إليه شبث بن ربعي، وسليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ووجه أهل الكوفة يدعونه إلى بيعته وخلع يزيد.

فقال لهم: أبعث معكم أخي وابن عمي فإذا أخذ لي بيعتي وأتاني عنهم بمثل ما كتبوا به إلي قدمت عليهم.

ودعا مسلم بن عقيل فقال: اشخص إلى الكوفة فإن رأيت منهم اجتماعاً على ما كتبوا ورأيتهم أمراً ترى الخروج معه فأكتب إليّ برأيك.

فخرج حتى قدم الكوفة، ونزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي وبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً سوى أهل البصرة، وحلفوا بأيمان مغلظة ليجاهدن معه بأموالهم وأنفسهم.

فكتب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين عليه السلام يستقدمه ويستحثه.

دخل رجل ممن يهوى يزيداً يقال له عبد الله بن مسلم الحضرمي على النعمان بن بشير وهو والي الكوفة من قبل النظام الأموي فأخبره بما حصل مع مسلم بن عقيل.

وقال له: إنك لضعيف.

فقال النعمان: لأن أكون ضعيفاً في طاعة الله خير من أن أكون قوياً في معصيته.

فكتب بشأنه إلى يزيد، فاستشار (سرجون) النصراني، وكان لا يخالفه فقد كان يمثل ما يمثله السفراء الأمريكيون اليوم في المنطقة العربية وكان مستشاراً ليزيد، يشير عليه بالرأي ويدبره ويوجهه ويأمره وينهاه. فقال: ليس لها إلا عبيد الله بن زياد، وكان عامله على البصرة، وكان يزيد واجداً عليه وهم بعزله.

فكتب إليه بولايته على الكوفة مع البصرة، وأمره أن يدس إلى مسلم بن عقيل حتى يأخذه.

فخرج عبيد الله بن زياد حتى أتى الكوفة فدخلها متلثماً، فجعل يمر بمجالسهم يسلم عليهم فيردون عليه وعليك السلام يا بن رسول الله، وهم يرون أنه الحسين بن علي «عليهما السلام».^(١)

قال أبو مخنف: إن ابن زياد أقبل من البصرة ومعه مسلم ابن عمر الباهلي، والمنذر ابن عمرو بن الجارود، وشريك ابن الأعور، وحشمه وأهله، حتى دخلوا الكوفة وعليه عمامة سوداء ومتلثم والناس ينتظرون قدوم الحسين عليهم، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم، ورأى من الناس من تباشرهم بالحسين ما ساءه، فأقبل حتى دخل القصر.

قال: لما نزل ابن زياد القصر نودي في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع إليه الناس فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإن أمير المؤمنين [يزيد] ولّاني مصركم وتغرّكم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم، فأنا من مطيعكم كالوالد البر الشفيق، وسيُفي

(١) المصاييح لأبي العباس الحسني.

وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليبق أمرى على نفسه (الصدق ينبئ عنك لا الوعيد) ثم نزل.

سمع مسلم بن عقيل بمجئ عبيد الله بن زياد ومقاتله فأقبل حتى أتى دارهائى بن عروة المرادي، فدخل في بابه فأرسل إليه أن أخرج إلي، فقال: إني أتيتك لتجيرني وتضيفني.

قال له: رحمك الله لقد كلّفتني شرطاً لولا دخولك داري وثقتك بي لأحببت لشأنك أن تنصرف عني؛ غير أنني أخذني من ذلك ذمام، أدخل، فدخل داره. فأقبلت الشيعة تختلف إليه في دارهائى بن عروة، وجاء شريك ابن الأعور حتى نزل على هائى في داره وكان شيعياً.

ابن زياد يعمل على اكتشاف مكان مسلم بن عقيل

ودعا ابن زياد مولى له يقال له معقل، فقال له: خذ هذه الثلاثة الآلاف الدرهم ثم التمس لنا مسلم بن عقيل واطلب شيعته وأعطهم الثلاثة الآلاف الدرهم، وقل لهم: استعينوا بهذه على حرب عدوكم وأعلمهم بأنك منهم.

ففعل ذلك وجاء حتى لقي مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم، وسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين بن علي وكان يصلي فلما قضى صلاته جلس إليه فقال له: يا عبد الله إني أمرؤ من أهل الشام مولى لذي الكلاع أنعم الله عليّ بحب أهل البيت وحب من أحبهم، وهذه ثلاثة آلاف درهم معي أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله، وكنت أحب لقاءه لأعرف مكانه، فسمعت نفراً من المسلمين يقولون هذا رجل له علم بأمر أهل هذا البيت، وإني أتيتك لتقبض مني هذا المال وتدلني على صاحبي فأبايعه.

فقال له مسلم ابن عوسجة: أحمد الله على لقائك، فقد سرنى ذلك لتنال

ما تحب ولينصر الله بك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولقد ساءني معرفة الناس إياي بهذا الأمر، قبل أن يتم مخافة سطوة هذا الطاغية الجبار فأخذ منه البيعة قبل أن يبرح، وأخذ عليه الموائيق المغلظة ليُنَاصِحَنّ وليكْتُمَنّ فأعطاه من ذلك ما رضي به.

ثم قال له: اختلف إليّ أياماً في منزلي، فأنا أطلب لك الإذن على صاحبي، وأخذ يختلف مع الناس يطلب ذلك إليه حتى عرف مكان مسلم بن عقيل. مرض شريك بن الأعور وكان كريماً على ابن زياد وكان شديد التشيع، أرسل إليه عبيد الله إني رائجُ إليك العشية فَعائِدُكَ.

فقال شريك لمسلم بن عقيل: إن هذا الفاجر عائدي العشية فإذا جلس فاقتله ثم اقعِد في القصر وليس أحد يحول بينك وبينه، فإن أنا برئتُ من وجعي من أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتُك أمرها.

فلَمَّا كان العشي أقبل ابن زياد لعيادة شريك بن الأعور فقال شريك لمسلم: لا يفوتنَّكَ الرجل إذا جلس، فقام إليه هانئ فقال: إني لا أحبُّ أني يقتلَ في داري؛ كأنه استقبح ذلك.

فجاءه عبيد الله بن زياد فدخل وجلس وسأل شريكاً ما الذي تجد؟ ومتى اشتكيت؟ فلَمَّا طال سؤاله إياه ورأى أن أحداً لا يخرج خشي أن يفوته، فأقبل يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحيوها حيُوا سُليماً وحيُوا من يُحييها
كأس المنية بالتعجيل فاسقوها

لله أبوك اسقنيها وإن كانت فيها نفسي.

قال ذلك مرتين أو ثلاثاً.

فقال عبيد الله وهو لا يَفْطَن: ما شأنه أترونه يهجر؟ فقال له هاني: نعم
اصلحك الله، ما زال هكذا من قبل غياب الشمس إلى ساعتك هذه.
ثم قام ابن زياد وانصرف.

فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟
فقال خَصْلَتَان: أما إحداهما فكراهية هاني أن يُقتل في داره، وأما الأخرى
فحديث حدثنيه الناس عن النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» **((أن الإيمان
قيد الفتك فلا يفتك مؤمن))**^(١).

يعقّب الشهيد القائد السيد حسين «رضوان الله عليه» على هذه المسألة
وهو يشرح قصة مسلم بن عقيل بقوله:

لكن روي بأن رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» كلف شخصين
بقتل يهودي. يعني هناك مثلاً نوعية من الناس الذي قد صار مثلاً بمستوى
المحارب المعلن الذي ليس فيه شك أنه شديد الضر؛ أنه هو نفسه رأس
العدو مثلما قتل الرسول اليهودي (أرسل اثنين ليقتلاه).

(فقال له شريك: أما والله لو قتلتَه لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً ظالماً) وهنا
يقول الشهيد القائد السيد حسين رضوان الله عليه: ربما لو قتله لاحتلت
المشكلة بأكملها والإمام الحسين متجه إلى العراق. لأنه قد وضع له خطة:
قال اقتله، واذهب إلى قصر الإمارة، وأنا عندما تتحسن حالي سأذهب إلى
البصرة وأكفيك البصرة وشأنها، والحسين قد صار متجهاً سيصل الكوفة
ومسلم في دار الإمارة فلا يتمكن يزيد أن يأتي بجيش من الشام إلا وقد
استقام أمرهم.

(١) الفتك يعني: القتل غدراً وخدعة.

الجاسوس يدخل على مسلم بن عقيل

قال: فأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل وآخر خارج يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم وينطلق بها حتى يُقرّها في أذن ابن زياد.

قال المدائني في روايته: فقال ابن زياد يوماً ما يمنع هانئاً^(١) منا؟ فلقبه ابن الأشعث، وأسماء بن خارجة، فقال له: ما يمنعك من إتيان الأمير وقد ذكرك، قال: فأتاه، فقال ابن زياد لعنه الله شعراً:

أريدُ حياته ويريد قتلي عذيرُك من خليلك من مراد

يا هانئ أسلمت على ابن عقيل؟ وفي رواية: اشتملت^(٢) قال: ما فعلت؟ فدعا ابن زياد معقل الجاسوس فقال: أتعرف هذا؟ قال نعم. وأصدقك ما علمت به حتى رأيته في داري، وأنا أطلب إليه أن يتحول.

قال: لا تفارقني حتى تأتيني به، وأغلظ له وضرب وجهه بالقضيب وحبسه. وقال عمر بن سعد عن أبي مخنف قال: حدثني الحجاج بن علي الهمداني قال: لما ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشى أن يفتك الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه ناس من أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تفرقوا فتختلفوا وتهلكوا وتذلوا وتخافوا وتخرجوا، فإن أخاك من صدقك وقد أعذر من أنذر.

فذهب لينزل فما نزل حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين ويقولون قد جاء بن عقيل، فدخل عبيد الله القصر وأغلق بابه.

(١) هانئ هو من وجهاء أهل الكوفة، وكان العادة إذا جاء أمير يستقبل وجهاء الناس.

(٢) يعني سترته في بيتك.

وعن عبد الله بن حازم البكري قال: أنا والله رسول بن عقيل إلى القصر؛ لأثرهائي لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت وأخبرته الخبر فأمرني أن أنادي في أصحابي وقد ملئ الدور منهم حواليه، فقال: نادي (يا منصور أمت) ^(١)

فخرجت فناديْتُ، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على ربيعة، فقال له: سر أمامي وقدمه في الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وقال له: أنزل فأنت على الرجالة، وعقد لأبي تمامة الصائبي على تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، ثم أقبل نحو القصر.

فلما بلغ عبيد الله إقباله تحرّز في القصر وغلق الأبواب، وأقبل مسلم بن عقيل حتى أحاط بالقصر.

فو الله ما لبثنا إلا قليلاً حتى أمتلى المسجد من الناس والسوق، ما زالوا يتوثّبون حتى المساء، فضاق بعبيد الله أمره ودعا بعبد الله بن كثير ابن شهاب الحارثي.

ابن زياد ومعرفته بتركيبه المجتمع واستغلالها

كان ابن زياد يعرف كيف قد صارت تركيبه المجتمع في الكوفة، وبعد أن ترسخت ثقافة الانتماءات القبلية على حساب الانتماء الديني الذي كان قد رسخه رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» ولمعرفته بذلك، وبالمعايير التي قد صارت هي السائدة فقد دعا وجوه أهل الكوفة وأعطاهم الأموال الكثيرة وحبسهم عنده في القصر.

(١) هذا كان شعار يستخدمونه.

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن حازم البكري قال: أشرف علينا الأشراف وكان أول من تكلم كثير ابن شهاب فقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا، انتشروا ولا تعرضوا أنفسكم إلى القتل، فهذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الأمير الله عهداً لئن أقمت على حربه ولم تنصرفوا من عشيبتكم هذه أن يحرم قبيلتكم العطاء، ويفرق مقاتليكم في مغازي الشام، ويأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت، وتكلم الأشراف بنحو من كلام كثير فلما سمع الناس مقاتلهم تفرقوا.

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد أن المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف الناس يكفونك.

ويجيئ الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر، انصرف؟

فما زالوا يتفرقون وينصرفون حتى أمسى ابن عقيل وما معه إلا ثلاثون نفساً، حتى صليت المغرب فخرج متوجها نحو ابواب كندة فما بلغ الأبواب إلا ومعه منها عشرة.

ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان.

مسلم بن عقيل وحيداً في أزقة الكوفة

فمضى متلداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جديلة من كندة فمضى حتى أتى باب امرأة يقال لها (طوعة) أم ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوج بها سيف الحضرمي، فولدت له بلالاً وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظر، فسلم عليها ابن عقيل، فردت السلام.

فقال لها: اسقيني ماءً.

فدخلت فأخرجت إليه إناءً فشرب، ثم أدخلت الإناء وخرجت وهو جالس في مكانه.

فقالت: ألم تشرب؟

قال: بلى.

قالت: فأذهب إلى أهلك؟ فسكت. فأعادت إليه ثلاثاً فقالت: سبحان الله يا عبد الله قم إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك.

ثم قام فقال: يا أمة الله والله مالي في هذا المصر من أهل فهل لك في معروف وأجرٍ لعلني أكافئك به بعد اليوم؟

قالت: يا عبد الله ومن أنت؟

قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبتني هؤلاء القوم وغروني وخذلوني.

قالت: أنت مسلم؟

قال: نعم.

قالت: ادخل.

فأدخلته بيتاً في دارها وفرشت له وعرضت عليه العشاء، وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت، فسألها فقالت: يا بني إله عن هذا؟

قال: والله لتخبريني، وألحَّ عليها فقالت: يا بني لا تخبر به أحداً من الناس، وأخذت عليه أيمان فحلف لها، فأخبرته فاضطجع وسكت.

فلما طال على ابن زياد ولم يسمع أصوات أصحاب ابن عقيل قال لأصحابه: اشرفوا فانظروا، فأخذوا ينظرون وأدلو القناديل وأطنان القصب،

تشد بالحبال وتدلّى وتلهب فيها النار، حتى فعل ذلك في الأظلة التي في المسجد كلها.

فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد؛ ففتح باب السدة وأمر أن ينادى في الناس برئة الذمة من رجلٍ صلى العتمة إلا في المسجد.

واجتمع الناس في ساعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد: فإن ابن عقيل السفیه الجاهل قد أتى ما قد رأيتُم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة الله من رجلٍ وُجد في داره، ومن جاء به فله ديتُه، اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

يا حصين بن تميم ثكلتك أمك إن ضاع شيء من سكك الكوفة أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً تستبرئ الدور^(١) حتى تأتي بهذا الرجل ثم نزل.

فلما أصبح أذن للناس فدخلوا عليه وأقبل محمد بن الأشعث فقال: مرحباً بمن لا يتهم ولا يُستغش، وأقعه إلى جنبه. وأصبح بلال فغداً إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه. فأقبل عبد الرحمن حتى أتى إلى أبيه وهو جالسٌ فساره.

فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أن ابن عقيل في دارٍ من دورنا. فنخسه ابن زياد بالقضيب في جنبه ثم قال قم فأتني به الساعة.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعد عن ابن زائدة الثقفي، أن ابن زياد بعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس عليهم عمرو بن

(١) يعني فتشها كلها.

عبيد الله بن العباس السلمي، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.
فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى.
فخرج إليهم بسيفه فاقتحموا عليه الدار فشد عليهم كذلك.
فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق السطوح وظهروا فوقه فأخذوا يرمونه
بالحجارة ويلهبون النيران في أطنان القصب ثم يقذفونها عليه من فوق
السطوح.

فلما رأى ذلك قال: أكل ما أرى من إجلاب لقتل ابن عقيل؟
ثم قال: يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص.
فخرج «رضوان الله عليه» مصلتاً سيفه إلى السكة، فقاتلهم.
فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال له: يا فتى لك الأمان لا تقتل نفسك.
فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أخاف أن أكذب أو أغرا أو يخلط البارد سخناً مرا
رد شعاع الشمس فاستقرا كل امرئ يوماً ملاقٍ شرا

قال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغر، إن القوم ليسوا بقاتليك
ولا ظالميك.

وقد أثنى بالجراح وعجز عن القتال فانبهروا أسند ظهره إلى دارٍ بجنب
تلك الدار فدنى منه محمد ابن الأشعث فقال له: لك الأمان.

فقال له مسلم: آمنٌ أنا؟

قال: نعم. أنت آمن.

فقال القوم جميعاً نعم غير عبيد الله بن عباس السلمي؛ فإنه قال لا ناقة لي في هذا ولا جمل وتنحى.

وقال ابن عقيل: إني والله لولا أمانكم ما وضعت يدي في أيديكم، وأتيت ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا عليه فنزعوا سيفه من عنقه فكأنه أيس من نفسه فدمعت عينه وعلم أن القوم قاتلوه.

وقال: هذا أول الغدر.

فقال له محمد بن الأشعث: أرجوا ألا يكون عليك بأس.

فقال: ما هو إلا الرجاء!، فأين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى.

فقال له عبيد الله ابن عباس السلمي: إن مثلك ومن يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك،

قال: إني والله ما أبكي لنفسي ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً؛ ولكني أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي الحسين وآل الحسين.

ثم أقبل على ابن الأشعث فقال: إني والله أظنك ستعجز عن أمانتي، وسأله أن يبعث رسولاً إلى الحسين بن علي يعلمه الخبر، ويسأله الرجوع فقال له الأشعث: والله لأفعلن.

قال أبو مخنف فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عقيل حين انتهى به إلى القصر رأى قلة مبردة موضوعة على الباب.

فقال: أسقوني من هذا الماء؟

فقال له مسلم بن عمر أبو قتيبة ابن مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها، فوالله لا تذوق منها قطرة واحدة حتى تذوق الحميم في نار جهنم.

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك ولأملك الثكل، ما أجفأك وأفضلك وأقسى قلبك، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم، ثم جلس وتساند إلى الحائط.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو قدامة بن سعد أن عمرو بن حريث: بعث غلاماً له يدعى سليمان، فأتاه بماء في قلة فسقاه.

قال وحدثني مدرك سعيد بن عمار أن عمار بن عقبة بعث غلاماً يدعى قيساً، فأتاه بماء في قلة عليها منديل وقدر معه، فصب فيه الماء ثم سقاه، فأخذ كلما شرب أمتلاً القدر دماً فأخذ لا يشرب من كثرة الدم.

فلما ملأ القدر المرة الثالثة ذهب ليشرّب فسقطت ثنيتاه في القدر فقال: الحمد لله لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

قال: ثم أدخل على عبيد الله بن زياد - لعنه الله - فلم يسلم عليه.

فقال له الحرس: ألا تسلم على الأمير؟

فقال: إن كان الأمير يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فليكثر سلامي عليه.

فقال له عبيد الله لعنه الله: لتقتلن.

قال: أكذلك؟

قال: نعم.

قال: دعني إذاً أوصي إلى بعض القوم.

قال: أوصي إلى من أحببت.

فنظر ابن عقيل إلى القوم وهم جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد فقال:

يا عمران بيني وبينك قرابة دون هؤلاء، ولي إليك حاجةٌ وقد يجب عليك لقرايتي نجاح حاجتي وهي سرُّ فأبى أن يمكنه من ذكرها.

فقال له عبيد الله بن زياد: لا تمتنع من أن تنظر في حاجة ابن عمك فقام معه وجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد لعنه الله.

فقال له ابن عقيل: إن علي بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمتها فاقضه عني حتى يأتيك من غلتي في المدينة، وجثتي فاطلبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يردده.

فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال؟

قال: أكتم ما قال لك.

قال: أتدري ما قال لي، قال: هات فإنه لا يخون الأمين ولا يؤتمن الخائن.

قال: كذا.. وكذا.

قال: أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك منه فاصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لن نكف عنه، وأما جثته فإننا لا نُشفعك فيها فإنه ليس لذلك منا بأهل وقد خالفنا وحرص على هلاكنا.

ثم قال ابن زياد لمسلم: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يُقتلها أحدٌ من الناس في الإسلام.

قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لم تدع سوء القتلة، وقُبِح المثلثة، وخبث السيرة، ولؤم الغيلة لمن هو أحق به منك.

ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثم قال: ادعوا الذي ضربه ابن عقيل على رأسه وعاتقه بالسيف فجاءه، فقال: اصعد وكن أنت الذي تضرب عنقه، وهو بكير بن حُمران الأحمر لعنه الله.

فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصلي على النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وعلى أنبيائه ورسله وملائكته وهو يقول: «اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكادونا وخذلونا»

ثم أشرفوا به على موضع الحذائين فضرب عنقه ثم أتبع رأسه جسده رحمة الله عليه.^(١)

وأمر بهائي فشق عرقوباه وجعل فيهما حبل، وجراً إلى الكناسة وصلبا فيها.

فهو حيث يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

فإن كنت لاتدرين ما الموت فانظري إلى هائي في السوق وابن عقيل
أصابهما فرخ البغي فأصبحا أحاديث من يسري بكل قبيل
تري جسداً قد غير الموت حاله ونضخ دم قد سال كل مسيل

وكان مقتل مسلم يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين، ويومئذ خرج الحسين من مكة نحو العراق.^(٢)



(١) تاريخ أبي مخنف.

(٢) المصابيح لأبي العباس الحسني.

الإمام الحسين يتجه صوب العراق

في مكة المكرمة الإمام الحسين «عليه السلام» سبط رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» أوضح للحجيج ضرورة التحرك والثورة في مواجهة الظالمين، وأنه لم يعد من الممكن السكوت على ظلم وطغيان بني أمية واستعبادهم للأمة واستهتارهم بالدين ولكن دون جدوى فتحرك الإمام الحسين «عليه السلام» صوب العراق استجابة لدعوات أهل العراق المتكررة فلعل وعسى يجد من ينصره ويقف معه.

يقول السيد القائد عبد الملك حفظه الله وهو يتحدث عن هذا الخروج: "من مكة اتجه صوب العراق حيث شيعة أبيه وحيث وصلت إليه الكثير من الرسل والكتب التي تعلن الاستجابة له، وتعلن التأييد له، وأنه سيجد في العراق مجتمعاً يقبل بالحق وينصر الحق ويقف مع الله ومع الإسلام، مع أولياء الله، مع الخير، مع الصلاح، اتجه صوب العراق وهو في كل منزل ينزل به، وأمام كل جماعة يجتمع بها يذكر، يذكر الأمة بمسؤوليتها، يذكر الأمة بواجبها، يذكر الأمة بالخطر الكبير الذي أصبحت فيه.

وكان يؤكد للأمة حتمية وضرورة الموقف الذي تحرك فيه وأنه لا يمكن أبداً أن يكون الموقف تجاه الباطل وتجاه الضلال وتجاه الظلم وتجاه الفساد وتجاه المنكر، أن يكون هو السكوت والتنصل واللامبالاة، لا يمكن أبداً أن يكون الموقف الصحيح هو ذلك.

خرج الإمام الحسين «عليه السلام» من مكة بعد أن أبلغ الحجة على الناس الذين حضروا إلى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج وأطلعهم على الوضع السيئ الذي قد وصلت إليه الأمة في ظل طغيان بني أمية وظلمهم

وتضليلهم وتحريفهم وفسادهم وأعلن استعداداه الكامل لقيادة الثورة في وجه الظالمين والعمل على تغيير واقع هذه الأمة مبيناً لهم بأن الثورة صارت للأمة ضرورة^(١).

واتجه سلام الله عليه صوب العراق بناء على الكتب والرسائل التي وصلت إليه من هناك تدعوه إلى التحرك والخروج والثورة واستعدادهم للجهاد في سبيل الله معه.

ومما عزز من استعداداه للذهاب إلى العراق ما وصله من قبل مسلم بن عقيل مبعوثه إلى الكوفة والذي أخبره في رسالة بعثها إليه بأن الأمور مهيأة لاستقباله.

قطع الطرق ومحاصرة الحسين عليه السلام

قال الطبري: ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة كتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر^(٢) ويأخذ الطرق^(٣).

قال ابن سعد: ووجه حصين بن تميم الطُّهوي إلى القادسية، وقال له: أقم بها، فمَنْ أنكرته فخذ. وكان الحسين عليه السلام قد وجه قيس بن مُسهر الأسدي إلى مسلم بن عقيل قبل أن يبلغه قتله، فأخذه حصين فوجه به إلى عبيد الله، فقال له عبيد الله: قد قتل الله مسلماً، فقم في الناس فاشتم الكذاب ابن الكذاب. فصعد قيس المنبر، فقال: أيها الناس، إنِّي تركت

(١) من خطاب عاشوراء للسيد عبد الملك لعام ١٤٢٩هـ.

(٢) المناظر: هي التلال والروابي في الأراضي المنبسطة لمراقبة الطرق.

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٣٥٣.

الحسين بالحاجر^(١)، وأنا رسوله إليكم، وهو يستنصركم. فأمر به عبيد الله فطرح من فوق القصر فمات.

وروى البلاذري عن هلال بن يساف قال: أمر ابن زياد فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة^(٢).

قال ابن سعد: وجعل الرجل والرجلان والثلاثة يتسللون إلى الحسين «عليه السلام» من الكوفة فبلغ، ذلك عبيد الله فخرج وعسكر بالنخيلة، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث، وأخذ الناس بالخروج إلى النخيلة، وضبط الجسر فلم يترك أحداً يجوزه^(٣).

وروى البلاذري أيضاً قال: ووضع ابن زياد المناظر^(٤) على الكوفة؛ لئلاّ يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق بالحسين مغيثاً له، ورتّب المسالحي^(٥) حولها، وجعل على حرس الكوفة زحر بن قيس الجعفي^(٦).

(١) الحاجر (من بطن الرمة): واد معروف لعالية نجد.

(٢) أنساب الأشراف. تحقيق المحمودي ٣ / ١٧٣.

(٣) الطبقات ١ / ٤٦٦.

(٤) المناظر: أشرف الأرض لأنه ينظر منها، المنظرة المراقبة. (لسان العرب).

(٥) المسلحة: قوم في عدة بموضع رصد قد وُكِّلوا به بإزاء ثغر واحد يتجسسون خبر العدو، ويعلمون علمهم لئلاّ يهجم عليهم، ولا يدعون واحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين، وإن جاء جيش أنذروا المسلمين. (لسان العرب).

(٦) أنساب الأشراف ٣ / ١٧٨.

الإمام الحسين يواصل السير ويلتقي بزهير بن القين البجلي

قال أبو مخنف: فحدّثني السدي عن رجل من بني فزارة قال: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدّم زهير، حتّى نزلنا يوماً في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين عليه السلام في جانب ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتّى سلّم، ثمّ دخل فقال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه. قال: فطرح كلّ إنسان ما في يده حتّى كأننا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدّثني دهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت: فقلت له: أبيعك إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه؟ سبحان الله! لو أتيتك فسمعت من كلامه ثمّ انصرفت. قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه. قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين عليه السلام، ثمّ قال لامرأته: الحقي بأهلك؛ فإنّي لا أحبّ أن يصيبك من سببي إلّا خير، ثمّ قال لأصحابه: مَنْ أحبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنه آخر العهد؛ إنّي سأحدّثكم حديثاً: غزونا بَلَنْجَرَ^(١) ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتُم من الغنائم؟ قلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتُم من الغنائم. فأما أنا فإنّي أستودعكم الله^(٢).

(١) قال الحموي: بلنجر (بفتحين، وسكون النون، وجيم مفتوحة): مدينة ببلاد الخزر.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٣٩٧ سنة ٦٠.

قال أبو مخنف: وفي الثعلبية^(١) بلغ الإمام الحسين «عليه السلام» خبر قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة.

الإمام الحسين «عليه السلام» يلتقي الحر بن يزيد الرياحي

واصل الإمام الحسين «عليه السلام» سيره حتى انتهى إلى زبالة وفيها سقط إليه^(٢) مقتل رسوله عبد الله بن بقطر، ثم سار حتى مرّ بطن العقبة فنزل بها، ثم سار حتى نزل شَراف^(٣)، فلما كان في السحر أمر فتيانَه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم ساروا منها حتى التقى مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي في ألف فارس مع الحرّ، وكان مجيء الحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين «عليه السلام» من القادسية؛ وذلك أن عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين بن تميم التميمي - وكان على شرطه - فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالِح فينظم ما بين القطُطانة إلى خَفان، وقدّم الحرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية فيستقبل حسيناً «عليه السلام».

وقال الحرّ للحسين «عليه السلام»: قد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردّك إلى المدينة تكون بيني وبينك نصفاً؛ حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت، فلعل الله إلى ذلك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك.

(١) الثعلبية: منزل من منازل مكة كانت قرية فخربت.

(٢) أي بلغه.

(٣) ما بين واقصة والقرعاء.

الحسين «عليه السلام» يبلغ الحجة ويذكر بواعث الثورة

ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» سَارَ فِي أَصْحَابِهِ وَالْحَرِيسَايِرِهِ. قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي الْعَيْزَارِ: إِنَّ الْحُسَيْنَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» خَطَبَ أَصْحَابَهُ وَأَصْحَابَ الْحَرِّ بِالْبَيْضَةِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ) قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالَفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ يَغْيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ. أَلَا وَإِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفُسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ».

وَقَالَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عِنْدَمَا وَصَلَ ذِي حُجُومٍ: «إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأُمَمِ قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، وَاسْتَمَرَّتْ جَدًّا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةُ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتْنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا؛ فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرْمًا».

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: فَقَامَ زَهِيرُ بْنُ الْقَيْنِ الْبَجَلِيُّ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَكَلِّمُونِ أَمْ أَتَكَلِّمُ؟ قَالُوا: لَا بَلْ تَكَلِّمْ. فَحَمَدَ اللَّهَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْنَا هَذَاكَ اللَّهُ يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ مَقَالَاتِكَ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا بَاقِيَةً، وَكُنَّا فِيهَا مُخَلِّدِينَ إِلَّا أَنْ فَرَّاقَهَا فِي نَصْرِكَ وَمَوَاسَاتِكَ لَأَثَرْنَا الْخُرُوجَ مَعَكَ عَلَى الْإِقَامَةِ فِيهَا. قَالَ: فَدَعَا لَهُ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ثُمَّ قَالَ لَهُ خَيْرًا.

وأقبل الحرّيسايره وهو يقول له: يا حسين، إنّي أذكرك الله في نفسك ؛
فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلنّ، ولئن قوتلت لتهلكنّ فيما أرى.

فقال له الحسين «عليه السلام»: «أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم
الخطب أن تقتلونني؟! ما أدري ما أقول لك، ولكن أقول كما قال أخو الأوس
لابن عمّه ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»،
فقال له: أين تذهب فإنك مقتول؟ فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرماً
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم كفى بك موتاً أن تذل وترغماً

قال: فلما سمع ذلك منه الحرّتنحى عنه، وكان يسير بأصحابه في ناحية،
وحسين في ناحية أخرى حتّى انتهوا إلى عُذيب الهجّانات، وكان بها هجائن^(١)
النعمان ترعى هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم
يجنبون فرساً^(٢) لنافع بن هلال يُقال له: الكامل، ومعهم دليلهم الطرماح بن
عدي على فرسه، وهو يقول:

يا ناقتي لا تدعري من زجري وشمّري قبل طلوع الفجر
بخير ركبّان وخير سفر حتى تحلي بكريم النجري

إلى آخر الأبيات ..

قال: فلما انتهوا إلى الحسين «عليه السلام» أنشدوه هذه الأبيات، فقال:
«أما والله إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتلنا أم ظفرنا». قال:

(١) الهجائن: هي الابل البيض الكريمة.

(٢) أي يسرون بجانبهم فرساً لنافع ليس عليه راكب.

وأقبل إليهم الحرّبن يزيد فقال: إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممّن أقبل معك، وأنا حابسهم أوراّدهم. فقال له الحسين عليه السلام: «لأمنعهم ممّا أمنع منه نفسي؛ إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ألاّ تعرض لي بشيء حتّى يأتيك كتاب من ابن زياد».

فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك. قال: «هم أصحابي، وهم بمنزلة من جاء معي، فإن أتممت على ما كان بيني وبينك وإلاّ ناجزتك». قال: فكفّ عنهم الحرّ.

قال: ثم قال لهم الحسين عليه السلام: «أخبروني خبر الناس وراءكم؟». فقال له مجمع بن عبد الله العائذي، وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه: أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، ومُلئت غرائرهم، يُستمال ودّهم، ويُستخلص به نصيحتهم، فهم (ألب واحد عليك) ^(١).

قال: «أخبروني فهل لكم برسولي إليكم؟». قالوا: من هو؟ قال: «قيس بن مسهر الصيداوي». فقالوا: نعم، أخذته الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أبالك، فصلّى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك، وأخبرهم بقدومك، فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر ^(٢).

فترقرقت عينا الحسين عليه السلام ولم يملك دمه، ثم قال: «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، ورغائب مذكور ثوابك».

قال أبو مخنف: حدّثني جميل بن مرثد من بني معن، عن الطرماح بن

(١) ألب واحد عليك: أي مجتمعين عليك.

(٢) أي أعلى القصر.

عدي: أَنَّهُ دَنَا مِنَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ فَمَا أَرَى مَعَكَ أَحَدًا، وَلَوْ لَمْ يِقَاتِلْكَ إِلَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَاهُمْ مَلَاذِمِيكَ لَكَانَ كَفِي بِهِمْ، وَقَدْ رَأَيْتَ قَبْلَ خُرُوجِي مِنَ الْكُوفَةِ إِلَيْكَ يَوْمَ ظَهَرَ الْكُوفَةَ وَفِيهِ مِنَ النَّاسِ مَا لَمْ تَرَ عَيْنَايَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ جَمْعًا أَكْثَرَ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ فَقِيلَ: اجْتَمَعُوا لِيُعَرِّضُوا ثُمَّ يُسَرِّحُونَ إِلَى الْحُسَيْنِ.

فَأَنْشَدَكَ اللَّهُ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَلَّا تَقْدَمَ عَلَيْهِمْ شَبْرًا إِلَّا فَعَلْتَ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْزِلَ بِلَدًا يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِ حَتَّى تَرَى مِنْ رَأْيِكَ، وَيَسْتَبِينَ لَكَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَسَرَحْتُ أَنْزَلَكَ مَنَاعَ جَبَلِنَا الَّذِي يُدْعَى أَجَا، اْمْتَنِعْنَا وَاللَّهِ بِهِ مِنْ مَلُوكِ غَسَّانٍ وَحَمِيرٍ، وَمِنْ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، وَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ. وَاللَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا ذَلَّ قَطٍّ فَاسِيرٌ مَعَكَ حَتَّى أَنْزَلَكَ الْقُرَيْيَّةَ، ثُمَّ نَبِعْتَ إِلَى الرِّجَالِ مَمَّنْ بِأَجَا^(١) وَسَلَّمِي مِنْ طِيءٍ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ حَتَّى تَأْتِيكَ طِيءٌ رَجَالًا وَرُكْبَانًا، ثُمَّ أَقِمْ فِينَا مَا بَدَا لَكَ؛ فَإِنْ هَاجَكَ هَيْجٌ فَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بَعَشْرِينَ أَلْفَ طَائِيٍّ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِأَسْيَافِهِمْ، وَاللَّهُ لَا يَصِلُوا إِلَيْكَ أَبَدًا وَفِيهِمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ.

فَقَالَ لَهُ: «جَزَاكَ اللَّهُ وَقَوْمَكَ خَيْرًا، إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَوْلٌ لِسِنَانٍ نَقْدَرُ مَعَهُ عَلَى الْإِنْصِرَافِ، وَلَا نَدْرِي عَلَامَ تَنْصَرِفُ بِنَا وَبِهِمُ الْأُمُورُ فِي عَاقِبَةٍ».

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: وَمَضَى الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ فَنَزَلَ بِهِ.

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ

(١) مَمَّنْ بِأَجَا: أَي مَمَّنْ هُمْ فِي طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَنَهَجٍ وَاحِدٍ.

قال: لَمَّا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَمْرُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِالْإِسْتِقَاءِ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَمَرْنَا بِالرَّحِيلِ، فَفَعَلْنَا. قَالَ: فَلَمَّا ارْتَحَلْنَا مِنْ قَصْرِ بَنِي مُقَاتِلٍ وَسَرْنَا سَاعَةً خَفَّقَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِرَأْسِهِ خَفَقَةً ثُمَّ انْتَبَهَ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». قَالَ: فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَقَالَ: يَا أَبَتِ جَعَلْتَ فِدَاكَ، مَهَّمَّ حَمَدْتَ اللَّهَ وَاسْتَرْجَعْتَ؟ قَالَ: «يَا بَنِي، إِنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسِي خَفَقَةً فَعَنَّ لِي فَارَسٌ عَلَى فَرَسٍ فَقَالَ: الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنَایَا تُسْرِي إِلَيْهِمْ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيتُ إِلَيْنَا».

قَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ، لَا أَرَاكَ اللَّهَ سُوءًا، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟

قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبَادِ».

قَالَ: يَا أَبَتِ، إِذَا لَا نَبَالِي نَمُوتُ مُحَقِّقِينَ.

فَقَالَ لَهُ: «جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرٍ مَا جَزَى وَلَدًا عَنْ وَالِدِهِ».

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ: فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى نَيْنَوَى (الْمَكَانُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ») قَالَ: فَإِذَا رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ لَهُ وَعَلَيْهِ السَّلَاحُ، مَتَنَكِبٌ قَوْسًا مُقْبِلٌ مِنَ الْكُوفَةِ، فَدَفَعَ إِلَى الْحَرِّ كِتَابًا مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَجَعَجَعَ بِالْحُسَيْنِ حِينَ يَبْلُغُكَ كِتَابِي، وَيَقْدُمُ عَلَيْكَ رَسُولِي، فَلَا تَنْزِلْهُ إِلَّا بِالْعَرَاءِ فِي غَيْرِ حُصْنٍ وَعَلَى غَيْرِ مَاءٍ، وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يُلْزِمَكَ وَلَا يَفَارِقَكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي بِإِنْفَازِكَ أَمْرِي، وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ، قَالَ لَهُمُ الْحَرُّ: هَذَا كِتَابُ الْأَمِيرِ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْمُرُنِي فِيهِ أَنْ أَجْجَعَ بِكُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَأْتِيَنِي فِيهِ كِتَابُهُ، وَهَذَا رَسُولُهُ وَقَدْ أَمَرَهُ أَلَّا يَفَارِقَنِي حَتَّى أَنْفِذَ رَأْيَهُ وَأَمْرَهُ.

وأخذ الحرّبن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقالوا: دعنا ننزل في هذه القرية (يعنون نينوى)^(١)، أو هذه القرية (يعنون الغاضرية)، أو هذه الأخرى (يعنون شُفِيّة).

فقال: لا والله، ما أستطيع ذلك هذا رجل قد بُعث إليّ عيناً. فقال له زهير بن القين: يا بن رسول الله إنّ قتال هؤلاء أهون من قتال مَنْ يأتيينا من بعدهم، فلعمري ليأتيينا من بعد مَنْ ترى ما لا قبل لنا به. فقال له الحسين (عليه السلام): «ما كنت لأبدأهم بالقتال».

وذلك يوم الخميس، وهو اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى وستين. قال أبو مخنف: فلمّا كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دَسْتَبَى^(٢)، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الري وأمره بالخروج. فخرج معسكراً بالناس بحمام أعين^(٣)، فلمّا كان من أمر الحسين (عليه السلام) ما كان، وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال: سرّ إلى الحسين، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عمّلك. فأقبل في أربعة آلاف حتّى نزل بالحسين (عليه السلام) من الغد من يوم نزل الحسين (عليه السلام) نينوى.

(١) قال الحموي في معجم البلدان: نينوى بسواد الكوفة منها كربلاء التي قُتل بها الحسين (عليه السلام).

(٢) دسّتبى: هي منطقة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمدان.

(٣) أعين: منطقة مشهورة بالكوفة.

الحسين يحط رحاله في كربلاء

وعلى أرض كربلاء حط الإمام الحسين «عليه السلام» رحاله، وضرب أبنيته، وأيقن بالمواجهة العسكرية، وتعاهد الحسين أصحابه وأصلح عدته وسيفه.

سمعتة أخته زينب تلك العشية وهو في خباء له يقول، وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري يعالج سيفه:

كم لك بالإشراق والأصيل يا دهر أف لك من خليل
والدهر لا يقنع بالبديل من صاحب أو طالب قتيل
وكل حي سالك سبيل وإنما الأمر إلى الجليل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً، فلما سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجرثوبها حتى انتهت إليه ونادت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسن أخي يا خليفة الماضي وثمان^(١) الباقي! فذهب فنظر إليها وقال: يا أختي لا يذهبن حلمك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمي استقتلت! نفسي لنفسك الفداء!

فردد غصته وترقرقت عيناه ثم قال: لو ترك القطا^(٢) ليلاً لنام. فبكت حتى خرت مغشياً عليها.

فقام إليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال: اتق الله يا أختي وتعزي

(١) الثُمالة بَقِيَّةُ الماء وغيره.

(٢) لو ترك القطا ليلاً لنام " قالته امرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مراد، فطرقوه ليلاً، فأثاروا القطا، فرأته امرأته فنبهته فقال: إنما هذا القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلاً لنام، فسار مثلاً: يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته.

بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالكٌ إلا وجه الله، أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

فعزاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أخية إنني أقسم عليك لا تشقي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إن أنا قُتلت.

ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض ويكونوا بين يدي البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم.

فلما أمسوا قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون.

ودعا الحسين «عليه السلام» ربه كثيراً وقال: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك، رغبةً مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي لكل نعمة وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة».

وفي صبيحة يوم عاشوراء عبأ الحسين «عليه السلام» أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرتهم، وأعطى رايته العباس أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب فألقي في مكان منخفض من ورائهم كأنه ساقية عملوه في ساعة من الليل لئلا يؤتوا من ورائهم وأضرماً ناراً تمنعهم ذلك.^(١)

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٦٩، الطبري ج ٤ ص ٣١٩.

الإمام الحسين يبين أسباب خروجه وثورته

ثم إن الإمام الحسين «عليه السلام» ذكر القوم من جديد وألزمهم الحجة فقد خطب فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله». ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غير، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنكم لا تسلموني ولا تدخلوني، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فانا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، وسيغني الله عنكم، والسلام.^(١)

الإمام الحسين «عليه السلام» وضع بين خيارين

الإمام الحسين في يوم العاشر من المحرم وضع بين خيارين: أن يستسلم للطواغيت أو أن يقتل، فماذا كان خياره «عليه السلام»؟ وهنا أيضاً ترك الحديث للسيد القائد عبد الملك «حفظه الله» حيث قال:

(١) الكامل والمصابيح.

هنا نشير إلى موضوع مهم جداً هو كيف جَسَّد الإمام الحسين الإسلام؟ كيف مثَّل الإسلام؟ كيف قَدَّمَ الإسلام في مواقفه، في ثباته، في سلوكه، في صبره، في صموده؟ وهذا درس مهم لهذه الأمة ونحتاج إليه حاجة ماسة في هذا العصر، عصر مليء بالطغاة والطغيان والمجرمين والظلم والاستبداد.

الإمام الحسين «عليه السلام» حينما وصل إلى كربلاء وحُوصِر هناك ووقف بوجهه حتى أولئك الذين كاتبوه وراسلوه وعاهدوه، فتغيروا وتغيرت مواقفهم نتاج تلك التحولات التي هي (انقلاب) في المجتمع الإسلامي، وقفوا حتى هم بوجهه، وقفوا جنوداً مجنده مع من؟ مع ابن زياد ويزيد، مع الفجور، مع الظلم، مع الطغيان، مع الحقد والضعينة، مع الفساد، مع المنكر، ووقفوا بوجه الحسين وهم يعرفون من هو، ويعرفون دعوته وماذا يريد وماذا يسعى إليه وهو الخير لهذه الأمة، هو خير لهذه الأمة، هو يريد لهذه الأمة السعادة والعزة، في تلك الحال وقف الإمام الحسين «عليه السلام» بين خيارين: بين أن يصمد على مبدئه وعلى موقفه ويثبت ولو ضحَّى بما ضحَّى ولو كان حجم المظلومية والأسى والألم على مستوى كبير، أو أن يتراجع أو أن يسكت أو يتغير كما كان الحال الأغلب بالنسبة للأمة حتى بوجهائها، بعلمائها، بعبَّادها، بكبارها آنذاك.

وقف الإمام الحسين أمام أصحابه وهو يُقَدِّم لهم التطورات الأخيرة ويقول لهم: «ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة وبين الذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وأرحام طهرت ونفوس أبيَّة وأنوف حميَّة من أن نُؤثِّر طاعة اللئام على مصارع الكرام».^(١)

(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩ هـ.

وقبل المعركة

الإمام يستدعي عمر بن سعد

كان عمر بن سعد موعوداً بولاية الرّي^(١) من قبل ابن زياد فأمره ابن زياد بالمسير لقتال الحسين «عليه السلام» فقال: (اعفني أيها الأمير) قال ابن زياد: (قد أعفيتك من ذلك ومن الرّي) فتحرّكت الأهواء والمطامع في نفس عمر بن سعد فقال: أنظرني في أمري أيها الأمير وعاد ابن سعد وهو يقول:

ووالله ما أدري وإنّي لواقف أفكر في أمري على خطرين
أترك ملك الرّي والرّي منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله العار الذي ليس دونه حجاب وملك الري قرة عيني

وغلبت عليه الدنيا وسار لقتل الحسين «عليه السلام» وفي أرض المعركة دعاه الحسين «عليه السلام» وقال له: «يا عمر أنت تقتلني؟! تزعم أن يوليك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان. والله لا تهناً بذلك أبداً عهداً معهوداً فاصنع ما أنت صانع فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة. وكأنّي برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يترامونه ويتخذونه غرضاً بينهم» وعاد عمر بن سعد إلى جيشه مصمماً على قتل الحسين «عليه السلام». ^(٢)

الإمام الحسين «عليه السلام» يختبر أصحابه الأوفياء

في كربلاء مساء العاشر من المحرم أقبل الإمام الحسين «عليه السلام» على أصحابه ثم قال لهم:

(١) تبعد عن طهران عاصمة إيران حوالي ١٦ كم.

(٢) كتاب التحف.

«أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوييل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً فإنني لأرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا شقاء وبرما».

«الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون».

ثم وجه خطابه إلى أصحابه الأوفياء قائلاً: إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً ألا وإنني أظن أن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً.

فأجابه أصحابه الأوفياء بما يثلج صدره ويدخل السرور على قلبه في مقدمتهم:

زهير بن القين البجلي

فقد قام إليه زهير بن القين البجلي، فقال: يا بن رسول الله قد سمعت مقاتلك هديت، ولو كانت الدنيا باقية وكنا مخلصين فيها، وكان الخروج منها مواساتك ونصرتك لاخترنا الخروج منها معك على الإقامة فيها.

ثم قال: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك.

برير بن خضير

ثم قام برير بن خضير فقال: يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

نافع بن هلال

وقام نافع بن هلال فقال: سربنا راشداً معافاً مشرقاً إن شئت أو مغرباً فوالله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإننا على نيائنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

مسلم بن عوسجة

ثم قام مسلم بن عوسجة فقال: أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقد فتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

سعد بن عبد الله الحنفي

وقال سعد بن عبد الله الحنفي: والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيى ثم أحرق حياً ثم أذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى جِمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة. فجزأهم الإمام الحسين (عليه السلام) خيراً.

الحُر بن يزيد الرِّياحي يغير موقفه في اللحظات الأخيرة

وقف الحُر وقبل أن تبدأ المعركة وقد اصطفَّ جيش عمر بن سعد للقتال أمام الإمام الحسين (عليه السلام) والفئة القليلة المؤمنة الوفية الصابرة، وقف

الحرّ وهو يفكر ويتأمل، يتقدّم ويتأخّر، بدا في حالة المتردد، في موقفه أين يقف، هذا موقف صحيح أن تفكر، أن تفكر أين أنت؟ في أي موقف أنت؟ مع من أنت؟ في أي طريق؟ وعلى ماذا تقاتل؟ وقف يفكر ويتأمل ويتردد، فأخذته الرعدة فقال له رجل من قومه يسمى (المهاجر بن أوس) والله إن أمرك لمريب والله ما رأيت منك في موقف قط مثل ما أراه الآن، ولو قيل من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدّوك.

فقال له الحرّ: إني والله أخير نفسي بن الجنة والنار، ولا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين «عليه السلام» فقال له: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في الطريق وجعجت بك في هذا المكان، والله ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبداً، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم، وأما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم إليه، والله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، وإني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي مواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك.

وتقدم الحرّ أمام أصحابه ثم قال: أيها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلةً من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافاكم الله من حربه وقتاله؟ فقال عمر: لقد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً.

فقال: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر! أدعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه؟ أمسكتم بنفسه وأحطتم به ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى

يأمن ويأمن أهل بيته، فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً، ومنعمتموه ومن معه عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهودي والنصراني والمجوسي ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو وأهله قد صرعهم العطش! بنسما خلفتم محمداً في ذريته! لا سقاكم الله يوم الظلما إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه!

فرموه بالنبل، فرجع حتى وقف أمام الحسين.

استأذن الحرمن الإمام الحسين «عليه السلام» في أن يكون أول شهيد بين يديه ليكفر عن خطأه قال: لقد كنت أول من تصدى لك فاسمح لي أن أكون أول شهيد بين يديك.

تقدم الحر إلى جيش ابن زياد وقاتل قتال الأبطال حتى استشهد بعد أن أبلى بلاء حسناً، ووقف الإمام الحسين على جسده بعد استشهاديه وقال: «أنت حر كما سمتك أمك».^(١)

عمر بن سعد يبدأ المعركة بإطلاق أول سهم

في بداية المعركة أطلق عمر بن سعد أول سهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى. وتبعه جيشه فلم يبق أحد من أصحاب الحسين «عليه السلام» إلا وأصابه سهم.

وبعدها تقدم أهل بيت الحسين «عليه السلام» وأصحابه إلى المعركة وانكشفت تلك الجحافل ولم تثبت لجيش الحسين «عليه السلام»، ولم تستطع خيل عمر بن سعد التقدم فتبارزوا فلم يتقدم أو يتعرض أحد من جيش عمر بن سعد للقتال إلا قتل أو هرب.

(١) الكامل في التاريخ، تاريخ الطبري.

وصاح (عمر بن الحجاج) برفاقه أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان مصر وقوما مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحدٌ فإنهم قليل، لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. وعجزت خيل ابن سعد رغم كثرتها عن مقاومة خيل الحسين **«عليه السلام»** فبعث إليه (عمر بن قيس) قائد الخيل يقول: ألا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه القوة اليسيرة؟! ابعث إليهم الرجال والرماة، فبعث إليهم بخمسائة من الرماة وعلى رأسهم (الحسين بن نمير) فرشقوا أصحاب الحسين **«عليه السلام»** بالنبل حتى عقروا الخيل وجرحوا الفرسان والرجال.

الإمام الحسين **«عليه السلام»** يخاطب المعتدين من جديد

ثم ركب الحسين دابته ودعا بمصحف فوضعه وتقدم إلى الناس ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال: أيها الناس اسمعوا قلبي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قلبي وأنصفتُموني كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر **﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾** [يونس: ٧١] **﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾**. [الأعراف: ١٩٦] فرج رؤساء القوم بالضجيج حتى لا يسمع الجيش صوته، فصابروهم الحسين **«عليه السلام»** حتى ملوا من الضجيج فخطب فيهم بعد الحمد والصلاة على النبي **«صلى الله عليه وعلى آله وسلم»** وقال: أما بعد فانسبونني فانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر

الشهيد الطيار في الجنة عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولأخي: «**أنتما سيدا شباب أهل الجنة**»؟ فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد بن أرقم أو أنساً يخبروكم أنهم سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟.

فقال شمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول!.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وإن الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول.

ثم قال الحسين: فإن كنتم في شك مما أقول أو تشكون في أي ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أخبروني أطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فلم يكلموه.

فنادى: يا شبيب بن ربعي! ويا حجار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إلي في القدوم عليكم؟ ألم تكتبوا لي أنه قد أينعت الثمار واخضرت الجنان، وإنما تقدم على جند لك مجند.^(١) قالوا: لم نفعل.

فقال: بلى فعلتم. ثم قال: أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

(١) اليعقوبي - التحف - الكامل في التاريخ.

قال: فقال له قيس بن الأشعث: أولاً تنزل على حكم ابن عمك، يعني ابن زياد، فإنك لن ترى إلا ما تحب.

فقال له الحسين: لا والله ولا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد.

عباد الله إني عذت بربي وربيكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربيكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

ثم أناخ راحلته ونزل عنها.

زهير بن القين يخاطب أهل الكوفة

وكذلك قام بعده بطل من أبطال كربلاء (زهير بن القين) خرج زهير بن القين على فرس له في السلاح فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقاً على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد ﷺ عليه وعلى آله وسلم؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون.

إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية بن الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون معهما إلا سوءاً، يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه!

قال: فسبوه وأثنوا على ابن زياد

وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سلماً.

فقال لهم: يا عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيزكم بالله أن تقتلوهم، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

فرماه شمرٌ بسهم وقال: أسكت، أسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال زهير: يا ابن البوال على عقبه! ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة! والله ما أظنك تحفظ من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال: أقبال موت تخوفني؟ والله للموت معه أحب إليَّ من الخلد معكم! ثم رفع صوته وقال: يا عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي، فوالله لا تنال شفاعة محمد قومًا أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم. فأمره الحسين فرجع.

من مواقف التضحية في كربلاء

سقط أصحاب الحسين «عليه السلام» وأهل بيته نماذج عالية للبطولة والفداء رجالاً ونساءً شباباً وأطفالاً أنفسهم قرايين في سبيل الله دون خوف أو رهبة من مواجهة الموت وكثرة العدو. وهذه نماذج لبعض التضحيات:

مسلم بن عوسجة:

حمل عمرو بن الحجاج على الحسين «عليه السلام» في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي

أَوَّل أصحاب الحسين «عليه السلام»، ثُمَّ انصرف عمرو بن الحَجَّاج وأصحابه وارتفعت الغبرة، فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين «عليه السلام» فإذا به رمق، فقال: رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب / ٢٣].

ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزَّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أنني أعلم أنني في أثرك، لاحق بك من ساعتى هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهَمَّك ؛ حتَّى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.

قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين «عليه السلام» - أن تموت دونه. قال: أفعل ورب الكعبة.

حبيب بن مظاهر

قال: فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين «عليه السلام»: يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء! إنني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتَّى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها. قال: فرفع الحسين «عليه السلام» رأسه، ثم قال: «ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين. نعم، هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفّوا عنا حتَّى نصلي».

فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل.

فقال له حبيب بن مظاهر: لا تُقبل زعمت الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وتُقبل منك يا حمار؟
ثم صلّوا الظهر، وصلّى بهم الحسين «عليه السلام» صلاة الخوف.
شهادة حبيب بن مظاهر:

وحمل حصين بن تميم على أصحاب الحسين «عليه السلام»، فخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف فشبّ ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أنا حبيبٌ وأبي مظاهرُ فارسٌ هيجاءٍ وحربٍ تسعّرُ
أنتم أعدّ عدّة وأكثرُ ونحن أوفى منكم وأصبرُ
ونحن أعلى حجة وأظهرُ حقّاً وأتقى منكم وأعدّرُ

وقاتل قتلاً شديداً، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله، وكان يُقال له: بديل بن صريم من بني عقفان، وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه فوق، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فوق، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه.

فقال له الحصين: إنّي لشريكك في قتله. فقال الآخر: والله ما قتله غيري.
فقال الحصين: اعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنّي شركت في قتله، ثمّ خذه أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه. قال: فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في العسكر قد علّقه في عنق فرسه، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه.

قال أبو مخنف: حدّثني محمد بن قيس قال: لما قُتل حبيب بن مظاهر

هَذَا ذَلِكَ حُسَيْنًا، وَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحِمَاةَ أَصْحَابِي».

زهير بن القين:

قاتل زهير بن القين قتالاً شديداً، وأخذ يقول:
أنا زهيرُ وأنا ابنُ القينِ أذودهم بالسيفِ عن حسينِ
قال: وأخذ يضرب على منكب الحسين (عليه السلام) ويقول:
أقدم هُدَيْتَ هادياً مهدياً فاليوم تلقى جدَّكَ النبيَّ
وحسناً والمرضى علياً وذا الجناحين الفتى الكمياً
وبعد أن أبلى بلاء حسناً شَدَّ عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن
أوس فقتلاه.

عابس بن شبيب:

وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر.
فقال: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟
قال: ما أصنع؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وعلى
آله حتى أقتل).
قال: ذلك الظن بك أملاً، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما
احتسب غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك أنا؛ فإنه لو كان معي الساعة
أحد أنا أولى به مني بك لسرّني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه، فإن هذا يوم
ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه؛ فإنه لا عمل بعد اليوم وإنما
هو الحساب.

قال: فتقدم، فسلم على الحسين «عليه السلام» ثم مضى فقاتل حتى قتل.
ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي ولا أحب إلي منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته. السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أنني على هديك وهدى أبيك. ثم مشى بالسيف مصلاً نحوهم وبه ضربه على جبينه.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة، عن رجل من بني عبد من همدان يُقال له: ربيع بن تميم (شهد ذلك اليوم)، قال: لما رأيته مقبلاً عرفته، وقد شاهده في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس، هذا الأسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب لا يخرجني إليه أحد منكم. فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل؟ فقال عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة. قال: فرمي بالحجارة من كل جانب. فلما رأى ذلك ألقي درعه ومغفره ثم شد على الناس، فوالله لرأيته يطرد أكثر من مئتين من الناس، ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل. قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدة. هذا يقول: أنا قتلتها، وهذا يقول: أنا قتلتها، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد، ففرق بينهم بهذا القول.

نافع بن هلال:

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف قال: حدثني يحيى بن هانئ بن عروة أن نافع بن هلال كان يُقاتل يومئذ وهو يقول:

أنا الجملي أنا على دين علي

قال: فخرج إليه رجل يُقال له: مزاحم بن حريث، فقال: أنا على دين عثمان. فقال له: أنت على دين شيطان. ثم حمل عليه فقتله.

ثم حمل فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى مَنْ جرح، ثم تكاثروا عليه وأخذوه أسيراً حتى أتى به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قال: إِنَّ رَبِّي يَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ. ثم قال له والدماء تسيل على لحيتي: والله، لقد قتلت منكم اثني عشر سوى مَنْ جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتهموني.

قال له شمر: أقتله أصلحك الله. قال: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله. قال: فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله، أن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل مناينا على يدي شرار خلقه. فقتله.

حنظلة بن أسعد الشبامي

جاء حنظلة بن أسعد الشبامي فوقف بين يدي الحسين وجعل ينادي ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۖ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ۖ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۖ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنْزَلُونَ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٠-٣٣] يا قوم لا تقتلوا الحسين فيسحتكم الله بعذاب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، فقال له الحسين: رحمك الله! إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا ليستبيحوك وأصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين! فسلم على الحسين وصلى عليه وعلى أهل بيته وتقدم وقاتل حتى قتل.

سيف بن الحارث وأخوه مالك

وبنفس الموقف البطولي وقف سيف بن الحارث بن سريع ، وأخوه لأمه مالك بن عبد الله بن سريع وهما يبيكان. فقال الحسين «عليه السلام»: «ما يبيكيكما إنني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين» فقالا: والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك، ونراك قد أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك. فقال: «جزاكم الله جزاء المتقين» وقاتلا حتى قتلا.^(١)

يزيد بن زياد الكندي

وأثناء المعركة جثا أبو الشعثاء - يزيد بن زياد الكندي - بين يدي الحسين وكان ممن انضم إلى الحسين «عليه السلام» من جيش ابن زياد وهو من أشهر الرماة. فأرسل مائة سهم في نحور القوم لم يكذب يخطأ منها خمسة أسهم وقاتل حتى قتل.

سويد بن أبي المطاع

وكذلك سويد بن أبي المطاع سمع القوم يتنادون بمصرع الحسين وهو في النزاع الأخير. فالتمس سيفه فوجدهم قد سلبوه ولم تقع يده إلا على خنجر صغير فقام على قدميه يصارع الموت ، فتولاهم الذعر، وانطلق فيهم قتلا حتى أفاقوا وتعاونوا على قتله.

(١) أبو الفرج الأصفهاني ٧٧.

من مواقف أهل البيت «عليهم السلام» في كربلاء

علي بن الحسين «عليه السلام»

هو علي بن الحسين الأكبر على رأي أكثر المؤرخين خرج مع أبيه ولما قرب الحسين من كربلاء خفق خفقة، ثم انتبه وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين» فقال علي «عليه السلام»: يا أبت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت؟ قال «يا بني إني خفقت خفقة: فرأيت فارساً على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم فعلمت أن أنفسنا نعت إلينا» فقال: يا أبت لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: «بلى والذي يرجع إليه العباد قال: إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا».

وفي أرض كربلاء دنا علي بن الحسين من والده وعمره لم يتجاوز الثامنة عشرة واستأذنه في القتال فأرعى الحسين سلام الله وصلاته عليه عينيه وقال: (اللهم كن أنت الشهيد عليهم وقد برز إليهم غلام أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وتقدم علي وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبى
من شبت ذاك ومن شمر الدنى أضربكم بالسيف حتى يلتوى
ضرب غلام هاشمي علوي ولا أزال اليوم أحمي عن ابي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وفي كل مرة يعود إلى أبيه فيقول: يا أبت العطش. فيقول الحسين «عليه السلام»: «اصبر حبيبي فإنك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم» بكأسه».

وحمل على القوم بشجاعة ضارية وفي كل مرة يقتل أبطالهم ويفرق صفوفهم وتكرر ذلك منه عدة مرات، وفي إحدى كراته تلك غدر به مرة بن منقذ العبيدي وطعنه برمحه، وتعاورته السيوف من كل جانب فنادى: يا أبتاه عليك السلام هذا جدي يقرؤك السلام ويقول: عجل القدوم إلينا. وفارق الحياة شهيداً فقال الحسين «عليه السلام»: «قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله، على الدنيا بعدك العفاء»، وكان علي أول قتيل من بني هاشم.

وأقبل الحسين «عليه السلام» إلى ابنه، وأقبل فتياناه إليه فقال: «احملوا أخاكم». فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

قال: ثم إن عمرو بن صبيح الصائدي رمى عبد الله بن مسلم بن عقيـل بسهم، فوضع كفه على جبهته، فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه، ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه.

فاعتورهم الناس من كل جانب؛ فحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله. وخرج محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو يقول:

قد بدلوا معالم الفرقان فعال قوم في الردى عميان
نشكو إلى الله من العدوان ومحكم التنزيل والتبيان

فحمل عليه عامر بن نهشل التيمي فقتله.

وشد عثمان بن خالد بن أسير الجهني وبشر بن سوط الهمداني ثم القابضي على عبد الرحمن بن عقيـل بن أبي طالب فقتلاه.

ورمى عبد الله بن عزة الخثعمي جعفر بن عقيل بن أبي طالب فقتله .
قال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم قال :
خرج إلينا غلام كان وجهه شقّة قمر ، في يده السيف ، عليه قميص وإزار
ونعلان ، قد انقطع شسع أحدهما ما أنسى أنّها اليسرى .

فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي : والله لأشدنّ عليه . فقلت له :
سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك قتله هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه .
قال : فقال : والله لأشدنّ عليه . فشددّ عليه ، فما ولّى حتّى ضرب رأسه
بالسيف فوق الغلام لوجهه .

فقال : يا عمّاه ! قال : فجلى^(١) الحسين «عليه السلام» كما يجلي الصقر ، ثمّ
شدّ شدّة ليث غضب ، فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنّها من لدن
المرفق ، فصاح ثمّ تنحى عنه ، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من
الحسين «عليه السلام» ، فاستقبلت عمراً بصدورها ، فحرّكت حوافرها وجالت
الخيول بفرسانها عليه فوطئته حتّى مات .

وانجلت الغبرة ، فإذا أنا بالحسين «عليه السلام» قائم على رأس الغلام ،
والغلام يفحص برجليه ، والحسين «عليه السلام» يقول : «بُعْدًا لِقَوْمٍ قَتَلُواكَ !
وَمَنْ خَصَمَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيْكَ جَدُّكَ» . ثمّ قال : «عزّ والله على عمّك أن
تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثمّ لا ينفعلك ، صوت والله كثر واثره ، وقلّ
ناصره» . ثمّ احتمله ، فكأنّي أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض ، وقد
وضع الحسين «عليه السلام» صدره على صدره ، فجاء به حتّى ألقيه مع ابنه
علي بن الحسين «عليه السلام» وقتلني قد قُتلت حوله من أهل بيته .

(١) المجلي : هو الفارس الذي يتفوق على الفرسان في ميدان السباق .

قال: فسألت عن الغلام، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب «عليهم السلام».

قال: وشدّ هاني بن ثابت الحضرمي على عبد الله بن علي بن أبي طالب فقتله. ثم شدّ على جعفر بن علي فقتله.

العباس بن علي

رمز من رموز البطولة والفداء والتضحية على أرض كربلاء وقف العباس كالطود الشامخ وقاتل قتال الأبطال، ونفذ من بين الجموع إلى الفرات واستجلب الماء إلى الخيام.

وقبل نهاية المعركة كان قمر بني هاشم وحيداً مع أبي عبد الله فاستأذن الحسين «عليه السلام» وودعه وأقبل على جيش عمر بن سعد يحصدهم ويمرق بين صفوفهم وأجهدته العطش ووصل إلى الفرات ورفض أن يشرب قبل أن يحمل للحسين «عليه السلام» الماء فشده عليهم ولكن القوم حالوا بينه وبين وصول الماء إلى الحسين «عليه السلام» واعتورته السيوف والرماح من كل جهة حتى مزقته. وكان آخر قتيل ودعه الحسين «عليه السلام».

وبقي العباس بن علي «عليه السلام» قائماً أمام الحسين «عليه السلام» يُقاتل دونه، ويميل معه حيث مال، وكان لواء الحسين بيده، فخرج فحملوا عليه، وحمل عليهم وهو يقول:

لا أَرهْبُ الموت إذا الموت رَقى حتى أوارى في المصاليب لَقى
نَفْسِي لنَفْسِ المصطفى الطهروقا إنِّي أنا العباس أغدوا بالسِّقا

ولا أخافُ الشَّرَّ يومَ الملتقى

ففرّقهم، فكمّن له زيد بن الورقاء الجهني من وراء نخلة، وعاونّه حكيم بن الطفيل السنبي فضربه على يمينه، فأخذ السيف بشماله وحمل عليه وهو يرتجز:

والله إن قطعتم يميني أني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتّى ضعف، وضربه حكيم بن الطفيل على شماله فقطعها وضربه بعمود من حديد فقتله.

وقال الحسين «عليه السلام» بعد استشهاد العباس: «الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي».

يقول القاسم بن نباته: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض فقلت له: ما كدت أعرفك!. قال: إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتّى يأتي جهنم فيدفعني فيها فأصبح فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي. قال: والمقتول العباس بن علي «عليه السلام»^(١).

شهادة عبد الله الرضيع

قال أبو مخنف: قال عقبة بن بشير الأسدي: قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: «وأتى الحسين بصبي له في الرضاع، فهو في يده»^(٢) إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين «عليه السلام» دمه، فلمّا ملأ كفيه صبه في الأرض، ثم قال: «ربّ إن تلك حبست عنا النصر من

(١) التاريخ الإسلامي.

(٢) يطلب له الماء ليشرب.

السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين».

قال هاني بن ثبيت الحضرمي يذكر صورة أخرى من ذلك الظلم: كنت ممن شهد الحسين «عليه السلام» فإني لواقف على خيول إذ خرج غلام من آل الحسين مذعوراً يلتفت يميناً وشمالاً فأقبل رجل منا يركض حتى دنا منه فمال عن فرسه فضربه فقتله.^(١)

كربلاء مدرسة متكاملة

الطفل في كربلاء

كان أطفال كربلاء قد تربوا على الصدق والطهارة فكتبوا بدمائهم صفحة جليلة في طريق الحق والحرية والكرامة.

- أحاط القوم بالحسين «عليه السلام» وأقبل إليه غلام من أهله فأخذته زينب «عليها السلام» فقال لها الحسين «عليه السلام» احبسيه. فأبى الغلام وأقبل يعدو إلى أبي عبد الله ووقف إلى جنبه، وأهوى أبجر بن كعب بالسيف على الحسين «عليه السلام».

فصاح الغلام فيه: أتقتل عمي يا ابن الخبيثة واتقى ضربة السيف بيده فأطنها إلى الجلد وبقيت معلقة فنادى الغلام: يا أماه فأخذه الحسين «عليه السلام» وضمه إليه وقال: يا ابن أخي احتسب فيما أصابك الثواب، فإن الله ملحقك بأبائك الصالحين برسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» وحمزة وعلي وجعفر والحسن.^(٢)

(١) التاريخ الإسلامي.

(٢) ابن الأثير ٣/ ٢٩٢.

الأم في كربلاء

ذهب غلام إلى الحسين «عليه السلام» استشهد والده في أول المعركة، وقف أمام الحسين وقال: (يا أبا عبد الله؛ ائذن لي بالقتال) قال الإمام «عليه السلام»: «هذا غلام قُتل أبوه في أول المعركة ولعل أمه تكره خروجه» ومن رحمته بابنها كان حريصاً على أن يعرف موقفها، الغلام قال: (أمي هي التي أمرتني، أمي هي التي أمرتني).

الزوجة في كربلاء

روى الطبري: أنه لما قال عبد الله بن عمير لزوجته أنه يريد المسير إلى الحسين قالت له: أصبت أصاب الله بك أرشد أموره افعل وأخرجني معك فخرج بها حتى أتى حسينا فأقام معه ثم برز ليقا تل فأخذت امرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول: فذاك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد فأقبل إليها يردها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: إني لن أدعك حتى أموت معك فنادها الحسين فقال: «جزيتم من أهل بيت خيراً أرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن» فانصرفت ثم قتل زوجها فخرجت تمشي إليه حتى جلست عند رأسه تمسح التراب عنه وتقول: هنيئاً لك الجنة. فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها بالعمود فقتلها وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.

وهنا يقول السيد القائد حفظه الله:

مثلما كان موقف أم وهب درساً مهماً للنساء في عصرنا هذا وفي غير هذا العصر، وهي تقف وتنادي زوجها عبد الله بن عمير وهو يقاتل في سبيل الله مع الإمام الحسين وتقول له: (فذاك أبي وأمي قاتل دون الطيبين من ذرية

محمد) هذا الموقف لتلك المرأة يجب أن يكون موقف النساء المؤمنات .
البعض من النساء قد يساهمن في إعاقة أزواجهن عن الانطلاق في
سبيل الله ومناصرة الحق ؛ لكن المرأة المؤمنة هي تشجع ، تشجع زوجها .
وهكذا وقف أصحاب الحسين (عليه السلام) وأهل بيته يتلقفون الشهادة
تلقفاً ، ويقبلون على الموت ويتسابقون إليه ، وذهب جميعهم شهداء وكان
كلما قتل شهيداً حمله الحسين (عليه السلام) إلى جانب إخوانه .

الإمام الحسين (عليه السلام) على أرض كربلاء وحيداً فريداً

وبقي الحسين (عليه السلام) في أرض المعركة وحيداً فريداً يقاسي
العطش والجوع ، ونزف الجراح ، ومتابعة القتال والطواغيت يحيطون به من
كل جانب فقاتل (عليه السلام) قتال الأبطال يحمل على القوم حتى يهزمهم ثم
يعود إلى مكانه واشتد عليه العطش وجعل يطلب الماء فقال له شمر: والله
لا ترده أو ترد النار.

ثم ناداه عبيد الله بن حصن: ألا ترى إلى الفرات يا حسين كأنه بطون
الحيات والله لا تذوقه أو تموت عطشاً . فقال الحسين (عليه السلام): «اللهم
أمته عطشاً» فكان الرجل يطلب الماء فيشرب حتى يخرج من فيه وهو
يقول: اسقوني قتلني العطش حتى مات ..^(١)

الإمام الحسين (عليه السلام) يرتقي شهيداً

قال أبو مخنف: عن الحجاج ، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقى ،
عن عبد الله بن عمار قال :

(١) التاريخ الإسلامي .

«فوالله ما رأيت مكثوراً^(١) قطّ قد قُتِل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً ولا أجراً مقدّماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرّجالة لتتكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب.»

قال هشام: حدّثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي قال: عطش الحسين عليه السلام حتّى اشتدّ عليه العطش، فدنا ليشرب من الماء، فرماه حصين بن تميم بسهم فوق في فمه، فجعل يتلقّى الدم من فمه ويرمي به إلى السماء، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، ثمّ جمع يديه فقال: «اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً».

قال هشام، عن أبيه محمد بن السائب، عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال: حدّثني منّ شهد الحسين عليه السلام في عسكره، أنّ حسيناً حين غلب على عسكره ركب المُنسّاة يريد الفرات، فضربه رجل من بني أبان بن دارم بسهم فأثبته في حنك الحسين عليه السلام، فانتزع الحسين السهم، ثم بسط كفيه فامتلاّت دماً، ثمّ قال الحسين عليه السلام: «اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك».

قال أبو مخنف في حديثه: إنّ شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجّالة أهل الكوفة قبّل منزل الحسين عليه السلام الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوه، فحالوا بينه وبين رحله.

قال الحسين عليه السلام:

ويلكم: يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون

(١) المكثور في القاموس: المغلوب الذي نفذ ما عنده.

يوم المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، هذه ذوي أحساب، امنعوا عتاتكم وطعامكم عن التعرّض لحرمي^(١).

فقال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا بن فاطمة، وأقدم عليه بالرجالة فأخذ الحسين «عليه السلام» يشدّ عليهم فينكشفون عنه.

ثم إنهم أحاطوا به إحاطة وقد أوثقتة السهام، فحملوا عليه من كلّ جانب. قال: ومكث الحسين «عليه السلام» طويلاً من النهار، كلّما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه، وكره أن يتولّى قتله، وعظيم إثمه عليه. قال: وإن رجلاً من كندة يُقال له مالك بن النسير من بني بداء أتاه فضربه على رأسه بالسيف، وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدمى رأسه، فامتلاً البرنس دماً، فقال له الحسين «عليه السلام»: «لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين».

قال أبو مخنف: فوالله إنّه كذلك، إذ خرجت زينب ابنة فاطمة، أخته (سلام الله عليها)، وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض. وقد دنا عمر بن سعد من الحسين «عليه السلام»، فقالت: يا عمر بن سعد، أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟! قال: وصرف بوجهه عنها.

قال: ولقد مكث طويلاً من النهار، ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعّلوا، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء.

قال: فنأدى شمرفي الناس: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم. قال: فحُمِل عليه من كلّ جانب، فضربت كفّه اليسرى ضربة ضربها زرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا وهو

(١) الفتوح - لابن أعمش ٥ / ٢١٤.

ينوء ويكبو. قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع.

قال: ثم قال شمر لِحَوَّلِي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل فضعف فأرعد. فنزل إليه سنان بن أنس فذبحه واحتز رأسه، ثم دفعه إلى حوَّلِي بن يزيد، وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف.

قال أبو مخنف، عن جعفر بن محمد بن علي قال: وجد بالحسين «عليه السلام» حين قُتل ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة.

وكان استشهاده «سلام الله عليه» يوم الجمعة العاشر من المحرم سنة إحدى وستين هجرية وكان عمره «سلام الله عليه» سبع وخمسون عاماً.

وما كاد القوم ينتهون من قتل الحسين حتى هرعوا إلى حرم رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» ينازعوهن الحلي وما عليهن من الملابس، دون أن تمنعهم مروءتهم، وانقلبوا إلى جثة الحسين «عليه السلام» يأخذون ما عليها من كساء مزقته السيوف والرماح، وأوشك القوم أن يتركوا الجثة عارية على الأرض لولا سراويل بالية كان قد لبسها الإمام الحسين «عليه السلام» بالية ممزقة، وتعتمد ذلك لتركوها على جسده ولا يسلبوها، لأنه يعرف دناءتهم وخستهم.

ثم أوطئوا الخيل جثته الشريفة وصدره حتى رضوا صدره وظهره، ثم أضرموا النار في الخيام، وساقوا بنات رسول الله سبايا إلى ابن زياد.

ما الذي تجلى في كربلاء؟

تجلت حالة الشر وانعدام القيم والأخلاق في ممارساتهم بشكل فضيع ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] استبانة سبيل المجرمين،

استبانت تربية الباطل في أثرها السيء جداً في نفسية الإنسان الذي يفقد إنسانيته ويتحول إلى متوحش لا أخلاق له ولا رحمة فيه، ولا إنسانية فيه، ولا ضمير له، ولا وازع.

تعاملوا بشكلٍ بشع، حصار، استهداف للإمام الحسين (عليه السلام) بمكانته العظيمة في الإسلام، وهو رجل الإسلام العظيم الذي كان يجب أن يُحبّوه أن يتمسكوا به، أن يلتفوا حوله؛ لأن تمسكهم به، التفافهم حوله، مناصرتهم له نصرَةٌ للحق، للإسلام الحق، وخيرٌ لهم هم، عزٌّ لهم هم، شرفٌ لهم هم، نجاةٌ لهم هم، وفوزٌ لهم هم، ولكنهم بدلاً من ذلك قاتلوه، ثم قطعوا الماء حتى عن أطفاله ونساءه، ثم استهدفوا حتى أطفاله.

عندما يصل واقع أمة تنتمي للإسلام لدرجة أن تستهدف حتى الرُّضْع عمداً بالسهام، طفل الإمام الحسين (عليه السلام) الذي أشرف على الوفاة لأن أمه كان قد جف منها اللبن، لم يعد فيها حليب لتُرضع رضيعها الصغير، فخرج به الإمام الحسين (عليه السلام) وناداهم إذا كان بقي لديهم شيء من الرحمة والإنسانية ليرأفوا بذلك الرضيع الصغير، فماذا كان جوابهم؟ سهمٌ يطلقونه ليزبح ذلك الطفل الصغير الرضيع من الوريد إلى الوريد، أي قسوة أي وحشية وصلوا إليها؟. ويُدلل هذا على المستوى الفظيع من التجرد عن الإنسانية والقيم الذي ساد واقع الأمة، وشيء طبيعي كأن لم يكن، كأنها مسألة عادية جداً.

الممارسات كلها في أحداث كربلاء جلت وكشفت المستوى المتدني في واقع الأمة من الأخلاق والتجرد من القيم، تربية الباطل التي هيأت الكثير من أبناء الأمة والكثير من جماهير الأمة لنصرة الظالمين والمجرمين، والقبول بحكمهم وهيمنتهم وتسليم أمر الأمة ومصيرها إليهم، والوقوف

معهم ضد الحق، وضد العدل، وضد قيم الإسلام ومبادئه الأساسية، هذا أيضاً مؤسف.^(١)

زينب تقف أمام المشهد في ساحة كربلاء

ومن هنا بدأ دور بطلة كربلاء بنت أمير المؤمنين وسيد الوصيين زينب عليها السلام التي ضربت أروع الأمثلة لموقف المرأة الواعية، فقد كانت بطلة أثناء الحرب وبعد الحرب.

ولم يصب أحد بمثل ما أصيبت. ومع ذلك وقفت صامدة تنتظر الموقف بعد المعركة، وشاهدت الرؤوس مرفوعة على الرماح، والجثث ملقاة على الأرض، والنساء حواسر فصاحت زينب عليها السلام: «يا محمداه! هذا الحسين على العراء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا».



(١) من كلمة السيد القائد في ذكرى عاشوراء ١٤٣٥هـ.

موكب الإباء إلى الكوفة

عاد القتلة المجرمون إلى عبيد الله بن زياد ورأس الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وأصحابه على رماحهم اثنان وسبعون رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

أما الجثث الطاهرة فقد خرج لها جماعة مع الليل من بني أسد على ضوء القمر وصلوا عليها ودفنوها هناك.

روى أبو العباس الحسني في المصابيح عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» أن الحسين لما قتل أخذ رأسه رجل من أهل الشام، فأتى به ابن زياد (لعنه الله) فوضعه بين يديه وجعل يقول:

أوقرركابي فضة وذهباً فقد قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأباً وخيرهم إن ينسبون نسباً

ف قيل له: قد علمت أنه خير الناس أما وأبا فلم قتلته؟ فأمر بقتله غيظاً عليه لقوله ومدحه الحسين «عليه السلام».

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعاثيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك.

ثم أقبلت حتى أدخل ووجدت الوفد قد قدموا على ابن زياد فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هوينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة.

فلما رآه زيد بن أرقم يفعل ذلك قال له: اعل بهذا القضيبي عن هاتين
الثنتين فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ عليه وعلى
آله وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم بكى الشيخ.
فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب
عقلك لضربت عنقك.

قال فنهض فخرج فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن
أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله.

قال فقلت ما قال؟ قالوا مربنا وهو يقول: ملِّك عبد عبداً فاتخذهم تلداً،
أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة،
فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل.
قال فلما دخل برأس الحسين وصبيانته وأخواته ونسائه على عبيد الله
بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكرت وحف بها إمامها فلما
دخلت جلست.

فقال عبيد الله ابن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه.

فقال ذلك ثلاثاً، كل ذلك لا تكلمه.

فقال بعض إماءها: هذه زينب ابنة فاطمة.

قال فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب
أحدوشتكم.

فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ عليه وعلى آله وسلم
وطهرنا تطهيراً لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر.

قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟



قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده.

قال: فغضب ابن زياد واستشاط.

قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير إنما هي امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها إنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطئ.

فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك.

قال فبكت ثم قالت: لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعى، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

ولما نظر ابن زياد إلى علي بن الحسين قال: ما اسمك؟ قال: علي بن الحسين. قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت.

فقال: ما لك لا تتكلم؟

فقال: كان لي أخ يقال له أيضاً (علي) فقتله الناس.

فقال: إن الله قتله. فسكت علي.

فقال: ما لك لا تتكلم؟

فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥] قال: أنت والله منهم.

فأراد قتله فتعلقت به زينب وقالت: يا ابن زياد حسبك منا، أما رويت من دماننا، وهل أبقيت منا أحداً! واعتنقته وقالت: أسألك بالله إن قتلته لما قتلني معه!.

موقف عبد الله بن عفيف الأزدي

ثم نادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته.

فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان ضريراً قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع علي والأخرى بصفين معه أيضاً، وكان لا يفارق المسجد يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف، فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبولك والذي ولأك وأبوه! يا ابن مرجانة أقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال: عليّ به. فأخذه، فنادى بشعار الأزدي: يا مبرور! فوثب إليه فتية من الأزدي فانتزعوه، فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في المسجد، فصلب، رحمه الله. (١).

رأس الحسين «عليه السلام» في الشام عند يزيد

قال أبو مخنف: ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة فجعل يداربه في الكوفة.

ثم دعا زحر بن قيس فسرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية.

أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية.

فقال له يزيد: ويلك، ما وراءك؟ وما عندك؟ فقال: أبشريا أمير المؤمنين

(١) تاريخ ابن الأثير.

بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال فاخاروا القتال على الاستسلام؛ فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر لوأداً كما لا ذ الحمائم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم.

موكب الإباء عند يزيد في الشام

قال: ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبياناه فجهزن، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي - عائذة قريش - ومع شمربن ذي الجوشن فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد فلم يكن علي بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه قال يزيد:

يفلقن هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلم

(قال أبو مخنف) حدثني أبو جعفر العباسي عن أبي عمارة العباسي قال

فقال: يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

لهم بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل
قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال اسكت.
قال: ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله
ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونساءه فأدخلوا عليه والناس
ينظرون.

فقال يزيد لعلي: يا علي أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني
سلطاني؛ فصنع الله به ما قد رأيت.

قال: فقال علي: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢].
فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه.

فما درى خالد ما يرد عليه.

فقال له يزيد قل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى ٣٠] ثم سكت عنه.

ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين «عليه السلام»
فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد أتنتكت بقضيبك ثغر
الحسين بن فاطمة؟! أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه
الحسن ويقول: «أنتما سيذا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما ولعنه
وأعد له جهنم وساءت مصيرا».

قال: فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحباً.

قال: فجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبيري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا شل
فجزيناهم ببدر مثلها وأقمنا ميل بدر فاعتدل
لست من عتبة إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

وهذه الأبيات قال بعضها ابن الزبيري شاعر قريش يوم أحد، وزاد يزيد البعض من أبياتها، فلا بن الزبيري الأول والثالث، وليزيد الثاني والرابع. (١)

السيدة زينب تفضح يزيد

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب «عليها السلام» فقالت: (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم ١٠] أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وأفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران ١٧٨].

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائك وإماءك وسوقك بنات رسول

(١) نهاية التنويه في إزهاق التمويه.

الله سبأيا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدوبهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟ ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا شلل

منتحيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك؟ وكيف لا تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، ياراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم! فلتردن وشيكاً مورد هم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت " اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا " .

فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحملك، ولتردنَّ على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ١٦٩] وحسبك بالله حاكما، وبمحمد خصيما، وبجبرائيل ظهيرا، وسيعلم من سؤل لك ومكنك من رقاب المسلمين، بنس للظالمين بدلا، وأيكم شر مكانا وأضعف جندا.

ولئن جرَّت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرا، والصدور حرا، ألا فالعجب

كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دماننا والأفواه تتحلَّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتنابها العواسل، وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرمًا، حين لا تجد إلا ما قدمت، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

فإلى الله المشتكى، وعليه المعوَّل، فكِدْ كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيناً، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فَنَدٌ، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة.

ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.)
فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

وقال صاحب المناقب: بعد ذلك قال علي بن الحسين: يا ابن معاوية وهند وصخر لقد كان جدي علي بن أبي طالب في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله) وأبوك وجدك في أيديهما راية الكفار.

ثم قال علي بن الحسين: ويلك يا يزيد! إنك لو تدري ماذا صنعت؟ وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذًا لهربت في الجبال، وافترشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعلي منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله فيكم، فابشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيامة.

وقال المفيد: قالت فاطمة بنت الحسين: ولما جلسنا بين يدي يزيد قام إليه رجل من أهل الشام أحمر فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية؟ يعني، وكنت جارية وضيئة فارعدت وظننت أن ذلك جائز لهم؛ فأخذت بشباب عمتي زينب وكانت تعلم أن ذلك لا يكون.

فقالت عمتي للشامي: كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد فقال: كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلت.

قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً.

قال: كذبت يا عدوة الله.

قالت له: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك.

فكأنه استحيا وسكت.

وعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية؟ فقال له يزيد: اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً.

فقال الشامي: من هذه الجارية؟

فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب.

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب؟

قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك، وتسبي ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم.

فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضربت عنقه.

علي بن الحسين يرد على يزيد

ثم إن يزيد لعنه الله أمر بمنبر وخطيب ليخبر الناس بمساوئ الحسين وعلي (عليهما السلام) وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم أكثر الوقعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد لعنهما الله فذكرهما بكل جميل.

قال: فصاح به علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوا مقعدك من النار، ثم قال علي بن الحسين (عليه السلام): يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا، ولهؤلاء الجلساء أجر وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً.

فقال: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان. ف قيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقا.

قال: فلم يزالوا به حتى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمداً، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسود رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة.

من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس :
أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء،
أنا ابن خير من اتزر وارتنى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من
طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء،
أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

إلى أن قال: أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين،
ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين
من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور
بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين
والقاسطين، والمجاهد أعداء الناصبين، وأفخر من مشى من قريش
أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول
السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على
المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان
حكمة الله ...

فلم يزل يتحدث حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله
أن تكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام. (١)

موكب الإباء يعود إلى المدينة المنورة

وتوجه موكب الإباء إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وعلى آله
وسلم وصلت النساء المكالمات إلى مدينة جدهن محمد صلى الله عليه وعلى آله
وسلم وعندما كن على مشارفها خاطبت [سكينة] مدينة جدها وقالت:

(١) بحار الأنوار.

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا
قالوا: ولما وصلت السبايا المدينة [لم يبق أحد حتى خرج] وجعلوا
يضجون ويبكون.

وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب وهي تقول: وآحسيناه!!،
وآ إخواناه!! وآ أهلاه!!، ثم قالت:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقد منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
(١)
أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم

عاقبة الظالمين والساكتين

بعد استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» ضاعف الأمويون سياستهم
المبنية على الكبت والإرهاب ففي سنة ثلاث وستين أغار جيش يزيد بقيادة
مسلم بن عقبة المري على المدينة واستباحوها لمدة ثلاثة أيام وجعل الناس
يبايعون يزيداً على أنهم عبيد له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء
فمن امتنع من ذلك قتله^(٢).

قال ابن كثير في تاريخه: ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف
امراً في تلك الأيام من غير زوج.

(١) مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار.

(٢) ابن الأثير: ٣/٣١٥.

وسئل الزهري كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي، ومن لا أعرف من حرو عبد وغيرهم عشرة آلاف.

واستباح الكعبة المشرفة وضربها بالمنجنيق حتى أحرقها، واستباح الحرمات، وقتل الناس - حتى من لجأوا إلى الكعبة قتلهم - وهتكوا الحرمات. وهذا شيء متوقع منهم فمن تجرأ على قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقتل أهل بيته حتى أطفاله، وسبي حريم رسول الله، هل يمكن أن يرعوا حرمة أحد بعد ذلك، أو يحترموا أي مقدس من المقدسات بعد أن داسوا بخيولهم صدر الحسين سلام الله عليه؟!

وأهلك الله يزيد بن معاوية في تلك السنة فبويع لابنه معاوية بن يزيد، فصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أيها الناس إنا بلينا بكم وبليتم بنا، فما تحصل كرامتكم لنا بضغنكم علينا ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأحق في الإسلام سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم النبيين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته، فصار رهيناً بعمله، ثم قلد الأمر أبي وكان غير خليق بالخير، فركب هواه، واستحسن خطاه، وعظم رجاه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلت منعت، وانقطعت مدته، فصار في حفرة رهيناً بذنبه، وأسيراً بجرمه، والله لأسفنا له أعظم من أسفنا عليه، ثم بكى وقال: «إن أعظم الأمر علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأباح الحرمه، وحرقت الكعبة، وما أنا المتقلد أمورك، ولا المتحمل بيعتكم، فشأنكم وأمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظنا،

وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها..^(١) فسَمَّه بنو أمية بعد أربعين يوماً من خلافته وعمره ثلاث وعشرون سنة.

وسلط الله على قاتلي الحسين: المختار بن أبي عبيد الثقفي داعية التوابين من طالبي ثأر الحسين «عليه السلام» وكالهم بنفس المكيال، ولم يبق أحد شارك في قتل الحسين «عليه السلام» إلا قتل، وانتقم منهم شر انتقام فقتل عبيد الله بن زياد وأحرقه، وقتل شمر بن ذي الجوشن وألقيت أشلاؤه للكلاب، وقتل عمر بن سعد ونصبت رأسه، ولم ينج الحصين بن نمير ولا خولي بن يزيد. ولم يبق أحد اشترك في كربلاء إلا أخذ جزاءه.

الأمة بخذلانها للحق تدفع ضريبة باهظة

يقول السيد القائد عبد الملك حفظه الله :

الأمة بخذلانها للحق وابتعادها عن أعلام الهدى تدفع ضريبة باهظة وثنماً كبيراً لقاء ذلك في الدنيا والآخرة، تدفع ثمناً كبيراً، تخسر الدنيا وتخسر الآخرة ف«ما ترك الناس شيئاً من أمور دينهم استصلاحاً لدنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أشد منه».

ويقول: "هذه دروس مهمة يجب أن نستوعبها في هذا العصر، وأن تكون هي تعطينا طاقة كبيرة لأن نواصل التحرك في سبيل الله، في مسيرة الحق، في مسيرة القرآن، ضد اليهود والنصارى، في مسيرة الاستجابة لله، الإتياع لما أنزل الله، الموالاة لله وأوليائه والمعاداة لأعداء الله، في مسيرة العزة، في مسيرة المجد، في مسيرة الكرامة، في مسيرة الجهاد.

(١) الشافعي ١٣٨.

عرفنا كيف خرج الإمام الحسين من مدينة جدّه مع خذلان الناس هناك لم ينصروا الحق، كيف خرج من مكّة بقلّة قليلة، بتخاذل الناس هناك، كيف كان موقف الأمة بعد الحسين؟ وماذا ربحت؟ هل استقرت حياة الناس؟ لأن البعض يرى أن المشكلة هي عندما نتحرك مع الحق! وأنه لو خذلنا الحق، لو لم نصر الحق، لو لم نقف مع الحق، سنعيش حياة مستقرّة، سنكون مرتاحين وتكون حياتنا رغداً! هل تم ذلك أم ماذا حصل؟ حصل كل الكوارث وكل الطغيان، مظالم رهيبة، وعقوبات إلهية شديدة.

المدينة التي خرج منها الإمام الحسين وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

مدينة الرسول، مدينة جدّه، هاجمها يزيد بعشرة آلاف مقاتل، وفي بعض الروايات خمسة وعشرين ألف مقاتل سلطهم عليها، أباح الدماء، وأباح الأموال، وأباح النساء، أباح العِرْض والأرض والثروة والنفس والدم، أباح لجنده كل شيء، أن يقتلوا الناس في المدينة، أن يغتصبوا نساءهم، يهتكوا أعراضهم، ينهبوا ثرواتهم، وحملت ألف امرأة من بنات أهل المدينة ممن كنّ عذارى لم يكنّ قد تزوجن، حملن من الاغتصاب، وقُتل في المدينة عشرة آلاف قتيل، بينهم كبار أهل المدينة ووجهاؤها وشرفاؤها الذين خذلوا الحسين، وسكتوا عن الحسين، لم تصلح لهم حياتهم ولم يستقر وضعهم. مكّة دُمّرت، ودُمّرت حتى الكعبة وأُحرقت، العراق نفسه التهب معارك وحروب وفتن كبيرة، حتى الشام لم يسلم من ذلك^(١).

يقول أمير شعراء اليمن الحسن بن علي بن جابر الهبل «رضوان الله عليه» المتوفى سنة ١٠٧٩هـ بصنعاء وهو يتحدث عن هذه المأساة:

(١) من خطاب السيد القائد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩هـ.

(١)

رِمَمًا مَنَعْنَ عِيُونَنَا طَعَمَ الْكَرَى

(٢)

حَيْثُ الَّذِي حَزَنْتُ لِمَصْرَعِهِ السَّما

وَبَكَرَبْلَا عَرَجٌ فَإِنَّ بَكَرَبْلَا

وَبَكَتْ لِمَقْتَلِهِ نَجِيعًا أَحْمَرَا

ويقول:

وهيهاتَ إني ما حييتُ لنادبُهُ

وما بليتُ تحتَ الترابِ ترائبُهُ

بما قد جرى قامتُ عليه نوادبُهُ

وما أنسَ لا أنسَ الشهيدَ بَكَرَبْلَا

سَبَّوْا بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ النَّبِيِّ حَرِيمَهُ

وباتَ يَزِيدُ فِي سُرُورٍ وَلَوْ دَرَى

ويقول الصاحب بن عباد:

بعظائم فاسمع حديث المقتل

في كربلاء ففتح كنوح المعول

يردون في النيران أَوْخَمَ مِنْهُل

حي أَمَامَ رِكَابِهِ لَمْ يَقْتُلْ؟

على الفلاح بفرصة وتعجل

هي للنبي الخير خير مَقْبَل

في أوداج أولاد النبي وتعتلي

وبكوا فقد أسقوا كؤوس الذبل

والضحك بعد الطف غير محلل

وتنزلي في القلب لا تترجلي

وتجردوا البنية ثم بناته

منعوا الحسين الماء وهو مجاهد

منعوه أعذب منهل وكذا غدا

أيجز رأس ابن النبي وفي الوري

وبنو السفاح تحكموا في أهل حي

نكت الدعي بن الدعي ضواحكا

تمضي بنو هند سيوف الهند

ناحت ملائكة السماء لقتلهم

فأرى البكاء على الزمان محللا

كم قلت للأحزان: دومي هكذا



(١) الْكَرَى: النوم.

(٢) النَّجِيعُ من الدم ما كان يضرب إلى السواد.

خلاصة ما حققته فاجعة كربلاء

السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي حفظه أوجز ما حققته ملحمة كربلاء في خطابه بهذه المناسبة قائلاً:

هذه الذكرى الأليمة، والفاجعة الكبيرة في تاريخ الأمة، والتي لها امتدادها في تأثيرها المباشر في واقع الأمة عبر الأجيال، فلم يطوها النسيان، ولم ينه تأثيرها امتداد الزمان؛ لأن علاقتها بواقع الأمة من خلال ارتباطها الوثيق والعميق والمؤثر في رسم مساراتها، وصياغة مفاهيمها، وصناعة مستقبلها، فقضية أمس هي قضية اليوم، والمشكلة هي ذاتها، والخيارات في المواقف هي نفسها، وبنفس الآثار والنتائج التي هي نتاج تلك المواقف؛ لأنها معركة بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين العدل والظلم، وبين النور والظلام، وبين الحرية والاستعباد.

فالإمام الحسين «عليه السلام» في حركته في أمة جده لإصلاحها وهدايتها وانقاذها من طغيان يزيد، كما أعلن ذلك «عليه السلام» في قوله: (ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا متكبراً ولا ظالماً ولا مفسداً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر)، إنما تحرك «عليه السلام» من موقعه كرمز عظيم من رموز الإسلام، من موقعه في القدوة والقيادة والهداية، وهو وريث جده رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» في حمل راية الإسلام، وهداية الأمة، فموقفه هو تعبير عن الحق، وترجمة بالقول وبالفعل لمبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه، وهو أرساء وترسيخ وتثبيت وتعبير عملي وفكري للموقف الإسلامي نفسه تجاه الطغيان والانحراف اليزيدي في كل عصر وزمن، في مقابل حالة الخنوع والاستسلام والجمود والتصل عن المسؤولية التي لا علاقة لها بالإسلام.

إنَّ الإمام الحسين «عليه السلام» حينما طُلبت منه البيعة ليزيد، قال «عليه السلام» في رده: (إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد فاسقٌ فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرَّمة، ملعنٌ بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله)، بهذه الكلمات المهمة أعلن الإمام الحسين «عليه السلام» وحدد موقفه الحاسم تجاه الطغيان والانحراف والتسلط الأموي ممثلاً ليزيد، بما يمثله يزيد على أمة رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» من خطورة في دينها العظيم، حينما يتمكن بما هو عليه من فسق وفجور وإجرام وطغيان واستهتار، فيما يمثله من خطورة على الإسلام ومقدساته، فيما هو فيه من احتقار للأمة، حينما يتمكن من التحكم بها من موقع القرار والسلطة، فالتهديد يصل إلى الدرجة التي قال عنها الإمام الحسين «عليه السلام»: (وعلى الإسلام السَّلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد)، يعني طمس معالم الإسلام، يعني مصادرة كل مكتسباته للأمة: من حرية وكرامة وعزة، ومن زكاء وسمو إنساني، وأخلاقٍ وقيم، يعني الاستعباد للأمة والإذلال لها، يعني الظلم والفساد، وأن تكون الأمة بكل ما تملكه رهينةً وغنيمةً للطغاة والطغيان، وأسيرةً تحت وطأة الإجرام.

ولذلك فالإمام الحسين «عليه السلام» من واقعه الإيمان العظيم، وهو سيّد شباب أهل الجنة، ومن موقعه في القدوة والقيادة والهداية، وهو الامتداد الأصيل والوارث الحقيقي لرسول الله «صلى الله عليه وعلى آله» في حمل راية الإسلام، وهداية الأمة، هذا الدور وهذا الموقع الذي يوضّحه لنا قول رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»: ((حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ))، وبما يمتلكه «عليه السلام» في هذا الموقع - بحكم اقترانه بالقرآن الكريم ونوره

المبارك - من بصيرة، ووعي، وحكمة، وإدراك، وتقييم صحيح، وبما يحمله من زكاء وطهارة وقيم وأخلاق، وباستشعاره العالي للمسؤولية، في هذا كله، وبهذا كله ما كان ليسكت، وما كان ليساوم، ولا ليتنصل عن المسؤولية، بل اتخذ قراره الحاسم وموقفه النهائي في التصدي لذلك الطغيان والانحراف، مهما كان حجم التضحية ومستوى المأساة، فهي تضحية ستصنع الانتصار، وتحقق النتيجة المرجوة؛ لأنها في سبيل الله تعالى القائل في كتابه الكريم:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

وقربان هذه التضحية إلى الله تعالى هو سيّد شباب أهل الجنة، وأهل بيته، والصفوة الأخيار من الأمة، الذين نالوا شرف الشهادة معه في ملحمة عاشوراء، في ميدان كربلاء؛ لأنها القضية العادلة التي لا ترقى إلى مستوى عدالتها بعدها قضية، والموقف الحق الذي لا يشوبه مثقال ذرة من الباطل، والمظلومية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية، فكان أن تحقق بها من النتائج الكبرى - ويتحقق في مستقبل الأمة على امتداده - ما يليق بمستواها العظيم كملحمة تاريخية مبدئية إيمانية عظيمة التأثير، وممتدة التأثير، وهذه بعض من نتائجها:

أولاً: هزّت الضمائر الميتة في نفوس الكثير من أبناء الأمة، وأحيتها بعد الموت، وأيقظت الكثير من سبات غفلتهم.

ثانياً: سرّعت من تقويض سلطة يزيد وآل أبو سفيان، وكانت سبباً لعقوبته العاجلة، وهلاكه وهو في ريعان شبابه وفي بداية سلطته، وأنهت أحلامه وآماله المشؤومة في التمتع بالسلطة ومحاربة الإسلام لأمدٍ طويل.

ثالثاً: صنعت الوعي، ورسمت الموقف الحق، وحددت المسار الصحيح لكل أجيال الأمة.

رابعاً: حفظت لنا الإسلام بأصالته ومنهجه الحق، وكشفت وفضحت الزيف والضلال.

خامساً: قدّمت النموذج والقُدوة بالفعل في الثبات على الحق، والصمود في مواجهة الطغيان، والتفاني والاستبسال في سبيل الله تعالى، ومن أقسى الظروف وفي أصعب الأحوال، وفي قوة العزم والإرادة، وفي الصدق والصبر والوفاء، وهي بذلك محطة تعبوية عظيمة، تمنح الأمة الطاقة المعنوية الهائلة، والقوة الإيمانية لمواجهة التحديات مهما كُبرت، والأخطار مهما عظمّت، وتحمل التضحيات مهما بلغت.

الشعب اليمني خياره هو خيار الإمام الحسين

إننا كشعبٍ يمني يعتز بهويته الإيمانية، ويرتبط من خلاله في علاقته بسبط رسول الله، سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، قد حسمنا خيارنا وقرارنا في التمسك بالإسلام في أصالته، ومبادئه، وقيمه، وأخلاقه العظيمة، الإسلام الذي يحررنا من كل طاغية وطاغوت، والإيمان الذي يمنحنا الله به العزة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، ومهما سعت قوى الطاغوت والاستكبار بقيادة أمريكا وإسرائيل، وبعمالئها المنافقين، كالنظامين السعودي والإماراتي لإخضاعنا وإذلالنا والسيطرة علينا، فإننا - وبعون الله وبتوقيقه - سنتمسك بالإسلام في موقفه الذي أعلنه الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من شهر محرم قائلاً: (أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ بْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السَّلَّةِ، وَبَيْنَ

الذَّلَّةَ، وَهِيَهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةَ، يَا بَنَى اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ، وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ)، وحينما قال: (لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أَقْرُ إقْرَارَ الْعَبِيدِ).

اليوم ونحن في العام السابع للعدوان الأمريكي السعودي الإماراتي على بلدنا، الهادف إلى السيطرة علينا كشعبٍ يمني، واستعبادنا وإذلالنا، وبكل ما ارتكبه منذ أول غارة جوية افتتح بها عدوانه، وبجرائمه اليومية الشنيعة، البشعة، الوحشية، الإجرامية، إننا ندرك جيداً ونعي طبيعة هذه المعركة التي قَدَّمنا فيها عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، والآلاف من الأسرى، والملايين من النازحين، ومع الحصار والحرب الاقتصادية الظالمة، في مظلوميةٍ يمكننا القول بأنها كربلاء العصر، وبصمودٍ واستبسالٍ حسيني تشهد له قوافل الشهداء في كل يوم منذ بداية العدوان، وتشهد له المواقع البطولية للمجاهدين المؤمنين، والأحرار الأبطال من الجيش واللجان الشعبية في كل ميادين البطولة والشرف في محاور القتال المختلفة في: الجبال، والوديان، والسهول، والصحاري، ويشهد له صبر الأسرى والجرحى، وتشهد له كلمات الاحتساب والصبر والصمود التي تستقبل بها أسر الشهداء شهداءها، إننا من كل ذلك نقول لكل الطغاة والمستكبرين: مهما حشدتم وقصفتهم وحاصرتهم وارتكبتن من الجرائم، ومهما كان حجم التضحيات، فلن نخضع لكم، ولن نفرط بحريتنا وكرامتنا واستقلالنا، وسنقول لكم بالقول الذي تترجمه الأفعال والتضحيات: هِيَهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةَ، وثقتنا بالله تعالى وبوعده الحق أن ثمرة توكلنا عليه، وتضحياتنا في سبيله، وصبرنا على المعاناة في ذلك: هي النصر، كما قال «سبحانه وتعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧].

حريتنا دينٌ ندين به، نابعٌ من توحيدنا لله تعالى، وعزتنا إيمان، وكرامتنا

قيم، ولا يمكن التفريط بأي من ذلك في مزاد المساومات السياسية، ومواقفنا تجاه القضايا الكبرى لأمتنا الإسلامية هي مواقف مبدئية، بدءاً من موقفنا المعادي للعدو الإسرائيلي الصهيوني، والمناصر للحق الفلسطيني مقدسات وإنساناً وأرضاً، وفي موقفنا المناهض للهيمنة الأمريكية، وسياساتها العدائية والمستكبرة والاستعمارية، وفي موقفنا المتضامن مع كل المظلومين والأحرار أبناء أمتنا الإسلامية، في إيران الإسلام فيما تتعرض له من حصار وحملات دعائية ظالمة، وفي لبنان، وسوريا، والعراق، والبحرين، وإدانتنا لما يتعرض له المسلمون في كشمير، وبورما، والصين وفي غيرها من المناطق والبلدان التي يتعرّض فيها المسلمون للظلم والاضطهاد لمجرد انتمائهم للإسلام.

كما نؤكد أن علاقتنا بأمتنا الإسلامية هي من منطلق الأخوة الإسلامية التي هي فريضة واجبة، وهي بالنسبة لنا محط اعتزاز وإفتخار، في مقابل مقتنا وإدانتنا لكل أشكال التطبيع والعلاقة مع العدو الإسرائيلي الصهيوني، التي يتورّط فيها المنافقون من العرب، وإدانتنا لكل مساعي الفرقة والشقاق، وإثارة العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة الإسلامية تحت عناوين عرقية ومذهبية ومناطقية.

السّلام على الحسين سبط رسول الله، وابن عليّ أمير المؤمنين، وابن فاطمة الزهراء، وشقيق الحسن المجتبي، الصّلاة والسّلام على أصحاب الكساء، على رسول الله وآله.^(١)

نسأل الله أن يرحم شهداءنا ويشفي جرحانا ويفرج عن أسرانا وينصر المجاهدين في الجبهات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

(١) من خطاب السيد القائد في ذكرى عاشوراء لعام ١٤٤١هـ.

المحتويات

٤	من هو الإمام الحسين؟
٧	خلاصة الوضعية التي كانت قد وصلت الأمة إليها
٧	١- غابت القيم والأخلاق من واقع الأمة
١٣	٢- تحريف المفاهيم الدينية
١٦	٣- استعباد الناس
١٧	٤- الاستئثار بالمال
١٧	٥- عملوا على إحياء الموروث الجاهلي
١٨	٦- عملوا على تقييب أهل البيت من ذاكرة الأمة
٢٠	هلاك معاوية وصعود يزيد
٢١	الإمام الحسين يطلب منه البيعة ليزيد
٢٣	الإمام الحسين يقرر الثورة ويتجه صوب مكة
٢٣	وداع الحسين لقبر جده المصطفى
٢٧	كانت مسؤولية الإمام الحسين تجاه أمة جده تفرض عليه أن يتحرك
٢٩	الإمام الحسين ناز ليخلص الأمة من واقع الظلم الرهيب
٣١	الإمام الحسين لم يكن شخصاً غريباً
٣٢	ويزيد أيضاً لم يكن شخصاً مجهولاً
٣٤	مسلم بن عقيل مبعوث الحسين «عليه السلام»
٣٩	الجاحسوس يدخل على مسلم بن عقيل
٤٠	ابن زياد ومعرفة بتركيبية المجتمع واستغلالها
٤١	مسلم بن عقيل وحيداً في أزقة الكوفة
٤٩	الإمام الحسين يتجه صوب العراق
٥٠	قطع الطرق ومحاصرة الحسين «عليه السلام»
٥٢	الإمام الحسين يواصل السير ويلتقي بزهير بن القين البجلي
٥٣	الإمام الحسين «عليه السلام» يلتقي الحر بن يزيد الرياحي
٥٤	الحسين «عليه السلام» يبلغ الحجة ويذكر بواعث الثورة
٦٠	الحسين يحط رحاله في كربلاء
٦٢	الإمام الحسين يبين أسباب خروجه وثورته
٦٢	الإمام الحسين «عليه السلام» وضع بين خيارين
٦٤	وقبل المعركة
٦٤	الإمام يستدعي عمر بن سعد
٦٤	الإمام الحسين «عليه السلام» يختبر أصحابه الأوفياء
٦٥	زهير بن القين البجلي
٦٦	برير بن خضير
٦٦	نافع بن هلال

٦٦.....	مسلم بن عوسجة
٦٦.....	سعد بن عبد الله الحنفي
٦٦.....	الحُر بن يزيد الرِّياحي يغير موقفه في اللحظات الأخيرة
٦٨.....	عمر بن سعد يبدأ المعركة بإطلاق أول سهم
٦٩.....	الإمام الحسين «عليه السلام» يخاطب المعتدين من جديد
٧٢.....	من مواقف التضحية في كربلاء
٧٢.....	مسلم بن عوسجة :
٧٣.....	حبیب بن مظاهر
٧٥.....	زهير بن القين :
٧٥.....	عابس بن شبيب :
٧٧.....	حنظلة بن أسعد الشبامي
٧٨.....	سيف بن الحارث وأخوه مالك
٧٨.....	يزيد بن زياد الكندي
٧٨.....	سويد بن أبي المطاع
٧٩.....	من مواقف أهل البيت «عليهم السلام» في كربلاء
٧٩.....	علي بن الحسين «عليه السلام»
٨٢.....	العباس بن علي
٨٣.....	شهادة عبد الله الرضيع
٨٤.....	كربلاء مدرسة متكاملة
٨٤.....	الطفل في كربلاء
٨٥.....	الأم في كربلاء
٨٥.....	الزوجة في كربلاء
٨٦.....	الإمام الحسين «عليه السلام» على أرض كربلاء وحيداً فريداً
٨٦.....	الإمام الحسين «عليه السلام» يرتقي شهيداً
٨٩.....	ما الذي تجلى في كربلاء؟
٩١.....	زينب تقف أمام المشهد في ساحة كربلاء
٩٢.....	موكب الإباء إلى الكوفة
٩٥.....	موقف عبد الله بن عفيف الأزدي
٩٥.....	رأس الحسين «عليه السلام» في الشام عند يزيد
٩٦.....	موكب الإباء عند يزيد في الشام
٩٨.....	السيدة زينب تفضح يزيد
١٠٣.....	موكب الإباء يعود إلى المدينة المنورة
١٠٤.....	عاقبة الظالمين والساكتين
١٠٦.....	الامة بخذلانها للحق تدفع ضريبة باهظة
١٠٩.....	خلاصة ما حققته فاجعة كربلاء
١١٢.....	الشعب اليمني خياره هو خيار الإمام الحسين